بقية الله

Baqiatollah

400
السنة الرابعة والثلاثون
شهر كانون الثاني 2025
جمادى الاخرة - رجب 1446هـ
شهرية - إسلامية - ثقافية - جامعة

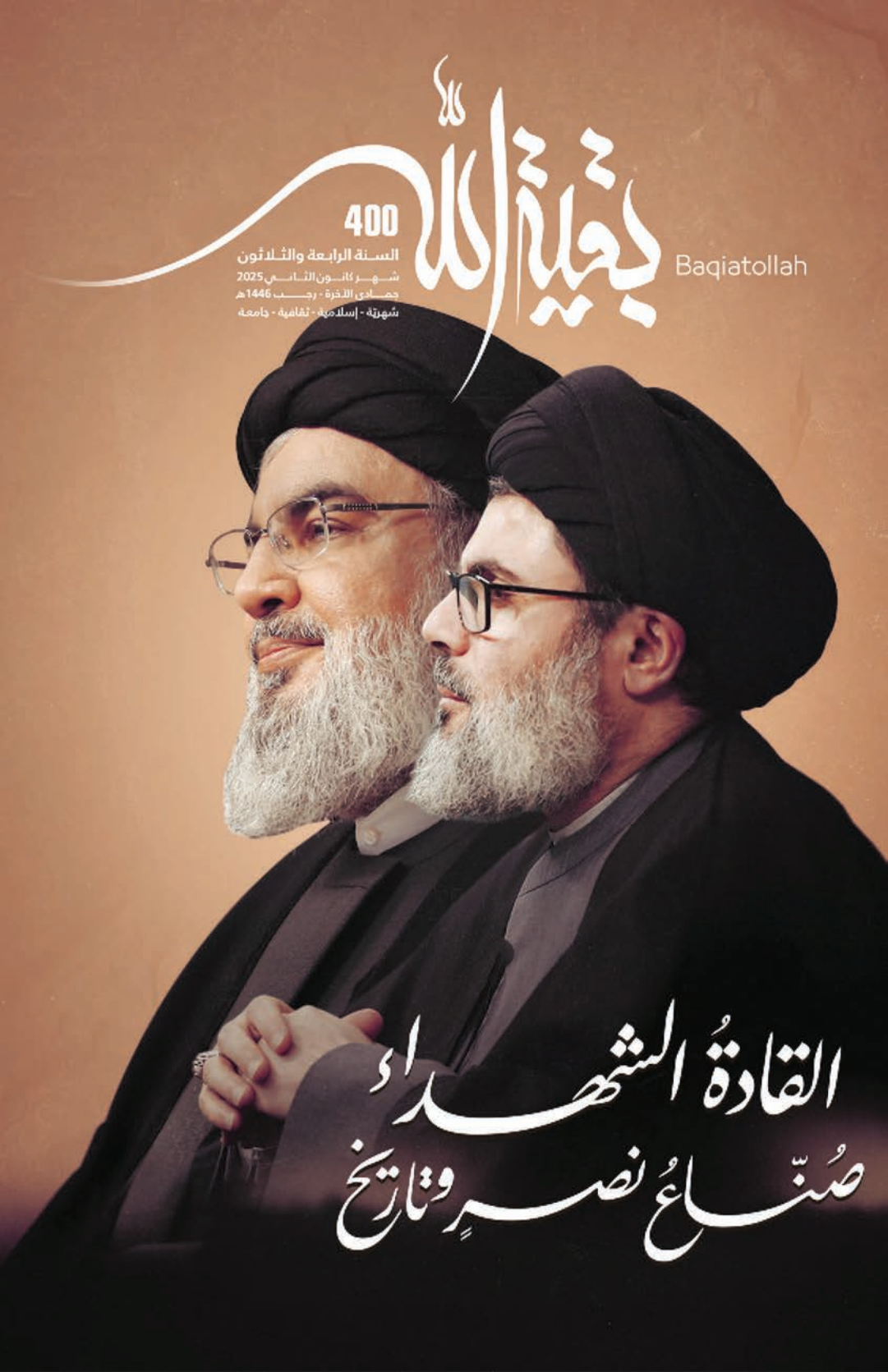

القادةُ الشهداء
صُنّاعُ نصرٍ وتاريخ

صدر حديثاً

أربعون حديثًا
عن الإمامين الصادقين

مع شروحات واستخلاص عبر

للأستاذ الجليل الإمام آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (حفظه الله)

تجدونه في دار المعارف الإسلامية الثقافية.

خدمة التوصيل متوفّرة على جميع الأراضي اللبنانية.

دار المعارف الإسلامية الثقافية

للحصول على أيّ من إصدارات دار المعارف الثقافيّة يمكنكم التواصل على الأرقام التالية:

@daralmaaref دار المعارف الإسلامية الثقافية +00961 03 470011 +00961 1 559976

مجلّة إسلاميّة ثقافيّة جامعة تصدر كل شهر
عن جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

المشـــرف العـــام
السيّد علي عبّاس الموسويّ

رئيـــس التحـريـــر
الشيخ بلال حسين ناصر الدين

مديـــرة التحـريـــر
نـــهـــى عـــبـــد الـــلـــه

المدير المسـؤول
الشيخ محـمـود كرنـيـب

إخـــراج وطبـاعـــة
DBOUK INTERNATIONAL

لبنان ـ الضاحية الجنوبية ـ المعمورة ـ الشارع العام ـ مبنى جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة ـ ط2
تلفاكس: 466740 1 00961 ـ ص.ب: 24/53
للاشتراك: 3470011 00961

www.baqiatollah.net info@baqiatollah.net baqiah@baqiatollah.net
@baqiatollah_ com/baqiatolah .me/baqiatollah

- **الافتتاحية: ستبقى فخرنا وعزّنا** — 4
  الشيخ بلال حسين ناصر الدين
- **مع إمام زماننا: كيف تكون البيعة للإمام عج عند ظهوره؟(2)** — 6
  السيّد عبّاس عليّ الموسويّ
- **نور روح الله: دور الشعب في انتصار الثورة** — 8
- **مع الإمام الخامنئي: المقاومة كلّما زاد الضغط أصبحت أقوى (1)** — 11
- **إلى كل القلوب: مقاومتنا روحها حسينيّة (1)** — 14
  شهيد الأمّة سماحة السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليه)
- **قيم علويّة: قيم القتال والجهاد في نهج البلاغة** — 18
  العلّامة الشهيد السيّد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه)
- **أخلاقنا: كونوا مع الصادقين (2)** — 24
  الشهيد السيّد عبد الحسين دستغيب قدس سره
- **قضايا فكريّة: قيم المقاومة** — 28
  سماحة الشيخ نعيم قاسم (حفظه الله)

القادة الشهداء... صنّاع نصر وتاريخ

- **عشنا في زمن نصر الله** — 34
  نهى عبد الله
- **معالم المجتمع الصالح في نهج البلاغة- وفق بيان سماحة العلامة الشهيد السيد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه)** — 40
  السيّد علي عبّاس الموسويّ
- **عندما يكون القائد أباً للمجاهدين** — 46
  زهراء إبراهيم عقيل
- **«إنّا على العهد يا والدي»- لقاء مع عائلة الشهيد القائد علي كركي** — 52
  هيئة التحرير
- **رحلة إخلاص تكلّلت بالشهادة- شذرات من حياة الشهيد السيد سهيل الحسينيّ (السيّد أحمد)** — 60
  هيئة التحرير
- **مجاهد في كلّ الميادين- من حياة الشيخ الشهيد نبيل قاووق (رضوان الله عليه)** — 68
  هيئة التحرير
- **حديثٌ مع السيّد من علمائه** — 72
  نرجس عربيد

6

- شهيد المحور: الحاج قاسم سليماني عن قرب- حوار مع الشهيد على طريق القدس الحاج ماجد (رحمه الله) 75

12

- اعرف عدوك: الكيان المؤقت: ترميم الهيبة لا يجدي نفعاً 80
  ضحى حمادي
- حديث الانتصار: شيفرة المقاومة 86
  لقاء مع أحد المجاهدين

الحرب الذكية

- حرب الجيوش الإلكترونيّة 92
  رؤبال ناصيف
- بياناتنا هي التي تقتلنا! 98
  وائل كركي

مجتمـــع

- هنا عرجت روح الحبيب 100
  تقرير: نقاء شيت
- إنّ مع الصّبر نصراً 106
  تحقيق: نانسي عمر

26

- أمراء الجنة: الشهيد على طريق القدس علي ابراهيم ناصر الدين «ملاك» 110
  نسرين إدريس قازان
- تسابيح جراح: إصابتان لن تكسرا إرادتي- لقاء مع الجريح المجاهد لواء(2) 114
  حنان الموسوي
- بأقلامكم 118
- آخر الكلام: تحت الركام.. 120
  نهى عبد الله

ستبقى فخرنا وعزّنا

الشيخ بلال حسين ناصر الدين

لم يكن الأمر مجرّد فَقدٍ يا سيّدي، بل كان وقعَ صدمةٍ رجونا فيها الثبات، وتمنّينا فيها المستحيل مع علمنا أنّ أمر رحيلك قد وقع. عشنا يا سيّدي بين يقين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ووهمٍ قلوبنا المتعلّقة بأطراف عباءتك حيث نهوى التمسّك بها دوماً، وبأنّك لن ترحل، حتّى ظنّ الكثيرون، وكادوا بهذا يوقنون، أنّ الأمر مجرّد اشتباه وأنّـك ما زلت حيّاً!

وتتالت التساؤلات: أيُعقل أن يتركنا السيّد العطوف في الحرب وهو الذي لم يتركنا في السلم؟

أيُعقل ألّا نسمع صرخته مجدّداً يُرعب بها أعداء الله أو يُعلن بها نصراً؟

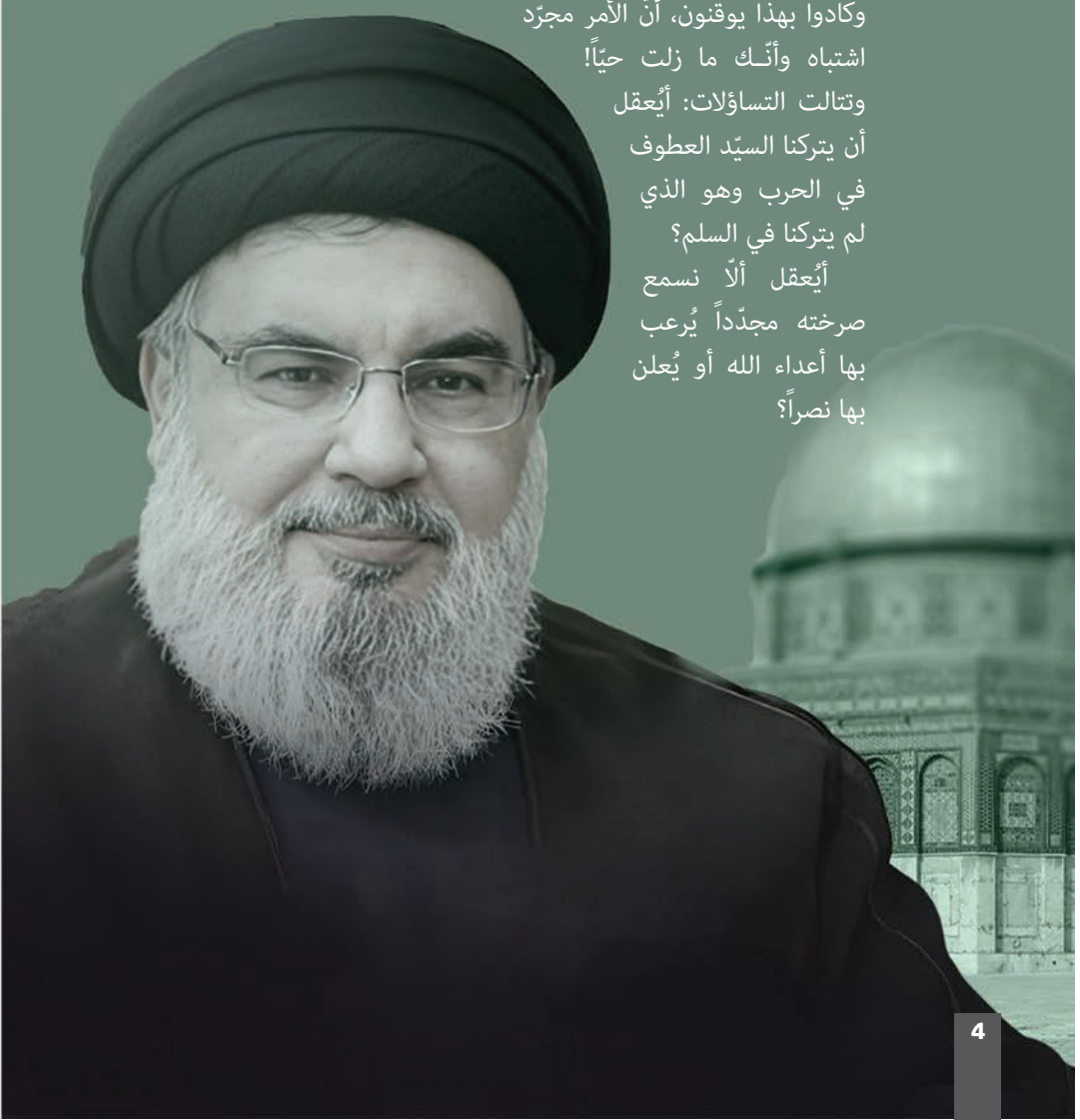

إنّهم يا سيّدي لم يستهدفوك أنت فحسب، إنّما استهدفوا أمّة بأكملها، بقلوب أبنائها وآمالهم، وما يرسمونه من قَدَر بصحبتك.

إلّا أنّ الشهادة كانت أقوى نفوذاً في روحك من أمنياتنا وأسعد حظّاً بك منّا، وما يعزّينا أنّك فزتَ بما أحببت، ونِعم ما أحببت.

يا سيّدنا، كيف لنا أن نوطّن أنفسنا على رحيلك وقد عشتَ معنا في حلونا ومُرّنا، في أرقنا وهدوئنا، في أمننا وخوفنا؟!

وأنت الذي كنت تحلّي بطلّتك البهيّة مُرّ عيشنا، وتبدّد بهدأة صوتك الشجيّ أوتار أوهامنا.

علّمتنا يا سيّدنا كيف يكون المؤمن موالياً، والموالي مكلّفاً، والمكلّف ثابتاً، والثابت فاعلاً.

كنّا كأنّنا دويّ نحلٍ وأنت أميره، تأخذنا حيث أحسن رحيق الزهور. ونعاهدك ألّا نشمّ إلّا رحيق ما أحببت.

أتعبْنا قلبَك بشقاوتنا أحياناً، ومن حُسن حظّنا أنّك كنت أنت، وما أوسع قلبك وأرحمك، حتّى جمعت به شملنا وتخطّيت جهل الجاهلين منّا بعقلك النافذ ورحمانيّة روحك المطمئنّة.

نستسمحك عذراً يا مولانا... فلو كان لنا أن نمدّ عمرك بتقصير أعمارنا ما بخلنا بذاك أبداً، وما بدّلنا عنه شيئاً، وما أحلك أعمارنا برحيل عمرك!

لقد رحلتَ عنّا، ولم يرحل معينُ وجودك منّا، فما زلت وستبقى فخرنا وعزّنا وملهمنا، وبك سننتصر يا نصر الله العظيم.

كيف تكون البيعة للإمام عجل الله فرجه الشريف عند ظهوره؟(2)*

السيد عبّاس عليّ الموسويّ

تابعنا سابقاً كيف يعلن نبأ ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف في مكّة، وكيف يأتي إليه بعض الخواصّ يبايعونه، وكيف تتمّ هذه البيعة وعلى أيّ شيء.

في هذا المقال، نعرض آخر مرحلة من إقامة الإمام عجل الله فرجه الشريف في مكّة قبل اجتماع جيشه إليه.

- **الخسف بجيش السفيانيّ**

عندما يكون الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف في المدينة وينتشر نبأ ظهوره، يصل هذا الخبر إلى مسامع الناس فيتناقلونه ويأخذون بالحديث عنه حتّى يطرق سمع السفيانيّ بالشام، فيرتعد ويخاف ويهيّئ جيشاً ويدفع به إلى المدينة من أجل إلقاء القبض على الإمام عجل الله فرجه الشريف أو قتله. ويسير ذلك الجيش حتّى يدخل مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ويقوم بأعمال في منتهى الوحشيّة، حيث يكون همّه الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف والقضاء عليه، وينال الهاشميّون أكبر الظلم، إذ يقضي على السفيانيّ كلّ من يقع تحت يديه منهم. ولمّا لم يجد المهديّ عجل الله فرجه الشريف ويعرف أنّه خرج من المدينة إلى مكّة، يأمر ذلك الجيش بمتابعة مسيره إلى مكّة للقضاء عليه، وفي وسط الطريق تحصل أهمّ علامات الظهور التي وردت في أحاديث أهل البيت عليهم السلام حيث يتمّ الخسف بذلك الجيش وإبادته والقضاء عليه، ولا يسلم منه إلّا اثنان يعودان

ممسوخَين، أحدهما يكمل المسير إلى مكّة فيخبر الإمام عجل الله فرجه بما جرى لذلك الجيش ويبشّره بما حلّ فيه، والآخر يتوجّه إلى السفيانيّ لينقل إليه خبر التدمير الذي حلّ بجيشه وينذره بما جرى له.

لقد أجمعت الأحاديث على هذه العلامة وأصبح الخسف بالبيداء من أظهر علامات ظهور المهديّ عجل الله فرجه، فهي واحدة من خمس علامات حتميّة من مقدّمات الظهور، ففي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: "للقائم خمس علامات: ظهور السفيانيّ، واليمانيّ، والصيحة من السماء، وقتل النفس الزكيّة، والخسف بالبيداء"[1].

وثمّة جملة من الأحاديث باللسان المتقدّم نفسه أو ما يشبهه ممّا يقطع بأنّ هذه العلامة قطعيّة لا إشكال في دلالتها على ظهور المهديّ عجل الله فرجه وبإبادة جيش السفيانيّ في البيداء والخسف فيه، فيصاب الأخير بنكسة مدمّرة ويأخذ نجمه بالاضمحلال والأفول، بينما يرتفع نجم الإمام عجل الله فرجه ويقوى رصيده المعنويّ والبشريّ.

• إقامة المهديّ عجل الله فرجه في مكّة

عندما يبايع المهديّ عجل الله فرجه جبرائيل عليه السلام والثلاثمئة والثلاثة عشر من أنصاره، يبقى مقيماً في مكّة حتّى يصبح عدد أصحابه عشرة آلاف شخص، خصوصاً أنّه كان ينتظر الخسف بجيش السفيانيّ في البيداء وقد حصل ذلك، كما جاء عن الإمام الجواد محمّد بن عليّ بن موسى عليهما السلام: "يجتمع إليه - إلى المهديّ عجل الله فرجه - أصحابه عدّة أهل بدر ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض... فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص، أظهر أمره، فإذا أكمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل، خرج بإذن الله عزّ وجلّ فلا يزال يقتل أعداء الله حتّى يرضى الله عزّ وجلّ"[2]. وعن أبي بصير: قال الإمام الصادق عليه السلام: "لا يخرج القائم من مكّة حتّى تكمل الحلقة. قلت: وكم الحلقة؟ قال عليه السلام: عشرة آلاف، جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، ثمّ يهزّ الراية المغلّبة ويسير فيها"[3]. وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: "وينشرها وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السحابة، ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السابغة، ويتقلّد بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذي الفقار". جعلنا الله وإيّاكم من أنصار الإمام عجل الله فرجه وأعوانه والمستشهدين بين يديه.

الهوامش

* مقتبس من كتاب: الإمام المهديّ عجل الله فرجه عدالة السماء، ص -152 153.

(1) الغيبة، النعماني، ص 261.

(2) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 52، ص 338.

(3) المصدر نفسه، ج 52، ص 368.

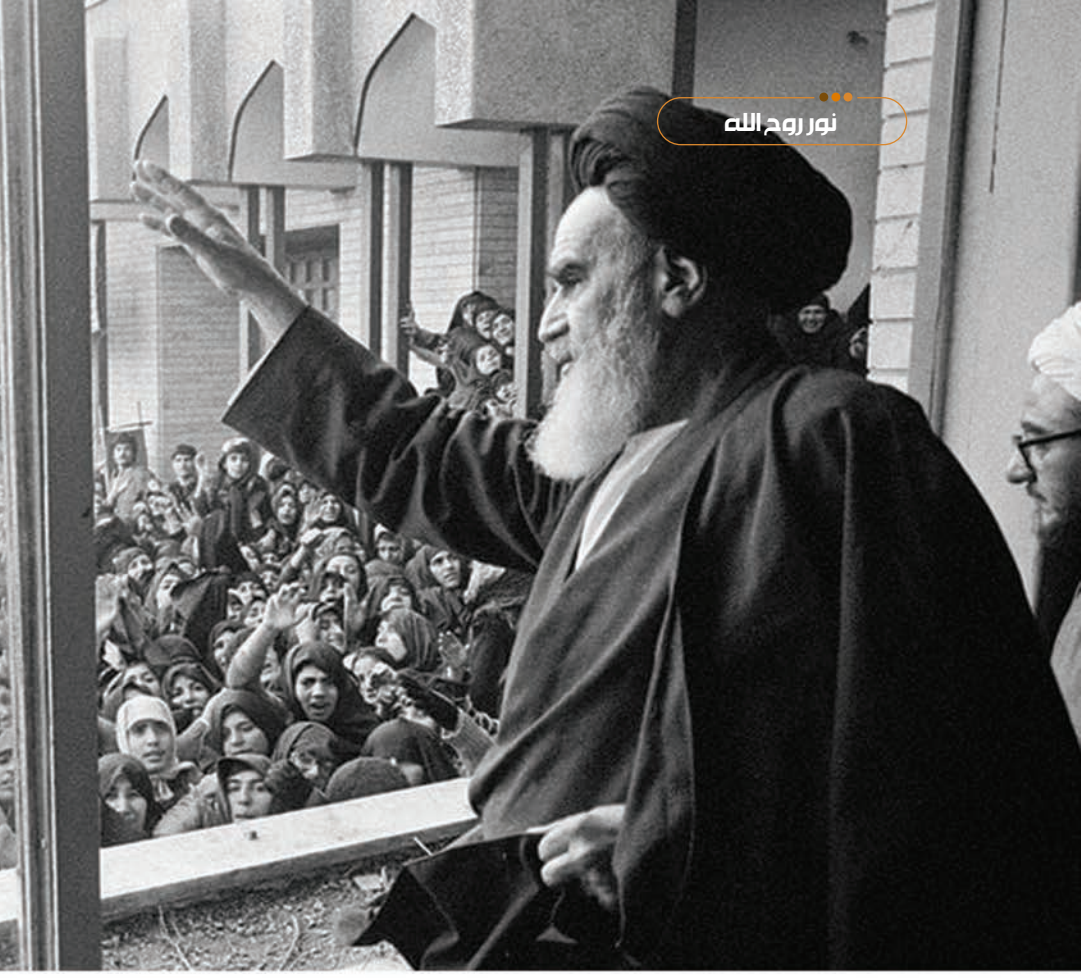

دور الشعب
في انتصار الثورة*

السلام على الشهداء! تحيّة لشهداء طريق الحقّ والحريّة تحيّة لكم أيّها الشبّان المخلصون، وللنساء والشبّان الواعين في كلّ أنحاء إيران!

لقد فارقتكم في وقت كان شباب اليوم أطفالاً وصغاراً، وعدت إليكم اليوم وقد فَارَقَنا عدد مُنهم، فلم نرَ أغلبهم، ولم نلمس طباعهم وسجاياهم، لأنّهم استشهدوا وحصلوا على وسام الشهادة في سبيل الإسلام، وفي طريق القرآن الكريم، وفي سبيل الحريّة والاستقلال وحكومة العدل الإسلاميّ "الجمهوريّة الإسلاميّة".

• **بقبضاتكم الخالية**

لقد أصبح لكم حقّ على الإسلام أيّها الشباب الإيرانيّ الأبطال والشجعان

إنّ الإسلام يمنّ على الجميع، ولا منّة لنا عليه. لكم المنّة عليّ أيّها الشعب الإيرانيّ وأنتم يا أبناء قمّ المحترمين، فأنتم الذين أوصلتم الثورة الإسلاميّة إلى نتيجتها، لأنّكم تمكّنتم من الانتصار بقبضاتكم الخالية على الدبّابات والمدافع والرشّاشات.

• **الإسلام وبطولات الشيعة**

لسنا نادمين على ما أُريق من دماء شباننا الزكيّة في طريق الإسلام. لسنا نادمين على أنّ الشهادة أصبحت نصيباً لأعزّتنا، فهذا نهج شيعة أمير المؤمنين عليه السلام منذ صدر الإسلام وحتّى الآن. لقد اقترن الإسلام دائماً ببطولات الشيعة، وانتشر في أيّامه الأولى نتيجة للجهاد الذي قاده أمير المؤمنين عليه السلام، بطل الإسلام العظيم، بطل الدنيا؛ إذ كان عليه السلام

وشيعته المقرّبون روّاداً في الحروب التي خاضها الإسلام، وكذلك أولاده الطاهرون مثل سيّد الشهداء عليه السلام الذي انتفض ونهض وقدّم دمه في سبيل هذا الدين الحنيف، وسائر أئمّتنا الذين كانوا ينشرون الإسلام ومفاهيم القرآن، ثمّ جاء بعدهم ثلّة واجهوا متغطرسوا عصورهم ووقفوا في وجوههم. هؤلاء هم شيعة عليّ عليه السلام، الذين توالت ثوراتهم لمواجهة الجبابرة.

أنتم يا شيعة الإسلام الثلّة التي وقفت في وجه القوى العظمى

في عصرنا الحاضر، كنتم أنتم يا شيعة الإسلام الأماجد الثلّة التي وقفت في وجه القوى العظمى وانتصرتم عليها. فالإسلام بقي حيّاً بطائفة الشيعة وثوراتهم المتتالية.

• الشعارات الإسلاميّة

لا ينبغي أن تكون الأمور مبهمة، فإذا كان ثمّة غموض أو أراد بعضهم تحريف الحقائق، فإنّ ثورتنا الإسلاميّة ستُهزم، وهذه خيانة للشعب وللإسلام

ليعلم أولئك الذين يسعَون إلى حرف هذه الثورة عن وجهتها الإسلاميّة، بأنّهم خَوَنة للإسلام وللشعب. الشعار اليوم ينبغي أن يكون الشعار الإسلاميّ نفسه «الجمهوريّة الإسلاميّة".

إنّ هؤلاء الذين يصرّون على تجريد الجمهوريّة من إسلاميّتها، إنّما هم خونة يريدون بثّ الفرقة والاختلاف بين أبناء الشعب. إنّ الذين يصرّون على إضافة سِمة الديموقراطيّة إلى الجمهوريّة، إمّا أنّهم جاهلون لا يفقهون شيئاً أو يتعمّدون الخيانة. ولتراجع وسائل الإعلام والكتّاب ما يكتبونه، وليتركوا الشعب يمضي في الطريق الذي أوصله إلى النصر، حتّى يبلغ منتهى غايته.

لماذا يصرّون على ذلك؟ هل هؤلاء أعداء للإسلام؟! هل هم أعداء الأمّة الإسلاميّة؟ هل هم أعداء لبلدهم حتّى يسعوا إلى حرف مسيرته؟!

نقول لهم: إنّ الشعب الإيرانيّ لن يحيد عن مساره.

الهوامش

*من خطاب للإمام الخمينيّ قدس سره، بتاريخ 10 ربيع الثاني 1399 هـ. ق. صحيفة الإمام، ج 6، ص 284.

المقاومة كلما زاد الضغط أصبحت أقوى (1)*

في منطقتِنا، التي تُعدّ واحدةً من أكثرِ المناطقِ الحسّاسةِ في العالمِ، هناك اليومَ أحداثٌ تجري. ينبغي أن نفهمَ هذه الأحداثَ بشكلٍ صحيح، وأن نستخلصَ منها الدروسَ والعِبَر. من الضروري إزالةُ الغموضِ عن هذه الأمور. لا أنوي اليوم تقديمَ تحليلٍ حولَ قضايا سوريا - فهناك من يقومُ بالتحليلِ - بل هدفي اليوم هو "التوضيحُ والرسمُ".

- **أميركا والكيان خلف ما حدث**

أولاً، لا ينبغي الشكُّ في أن ما حدثَ في سوريا هو نتيجةُ خطةٍ مشتركةٍ أمريكيةٍ وصهيونية. نعم، إحدى الدولِ المجاورةِ لسوريا لعبتْ دوراً واضحاً في هذا الشأن، ولا تزالُ تلعبُ هذا الدورَ - وهذا شيءٌ واضحٌ للجميع - لكنّ العاملَ الرئيسيّ هو الأمريكيونَ والصهاينة؛ هم المتآمرونَ الأساسيون، وهم واضعو الخطة، وغرفةُ القيادةِ الرئيسةُ توجدُ في أمريكا والكيانِ الصهيونيّ. لدينا أدلةٌ تُزيلُ أيّ شكٍّ في هذا الأمر.

• جبهة المقاومة

أود أن أقول بضع كلمات حول "جبهة المقاومة". بعد هذه الأحداث في سوريا، أبدى عناصر الاستكبار فرحهم، معتقدين أنه بسقوط الحكومة السورية التي كانت داعمة للمقاومة، ستضعف جبهة المقاومة.

حزب الله فقد قائدًا كالسيد حسن نصر الله (رضوان الله عليه)؛ ومع ذلك، ازدادت قوّة هجمات حزب الله، وتعزّزت قبضته الحديدية

هم سعداء ويقولون إن جبهة المقاومة قد ضعفت. لكنّني أرى أنّهم مخطئون بشكل كبير. فـ"جبهة المقاومة" ليست شيئًا ماديًا يمكن كسره أو تفكيكه أو تدميره. المقاومة هي إيمان، هي فكر، هي قرار قلبي وحاسم؛ المقاومة مدرسة، مدرسة عقائدية. ما يكون إيمانًا لشعبٍ ما ليس شيئًا اعتباريًا أو مصطنعًا – وسأوضح لماذا هو إيمان الشعب – بل هو شيء يتقوّى تحت الضغط بدلاً من أن يضعف.

دافع أفراد جبهة المقاومة وعناصرها يزداد قوّة بمشاهدة خباثة الأعداء، ويتّسع نطاق جبهة المقاومة. هكذا هي المقاومة. عندما تظهر جرائم العدو الوحشية، يخرج أولئك الذين كانوا متردّدين بشأن المقاومة من تردّدهم ويدركون أنه لا سبيل إلى النجاة إلا بالوقوف في وجه الظالم والمعتدي والطاغية. لا بد من الثبات، لا بد من المقاومة. هذه هي المقاومة.

• حزب الله تعزّزت قبضته

انظروا إلى حزب الله في لبنان، انظروا إلى حماس، انظروا إلى الجهاد الإسلامي، انظروا إلى القوى المناضلة الفلسطينية؛ كم تعرضوا لضغوط هائلة. هل كانت المصيبة التي أصابت حزب الله بسيطة؟ حزب الله فقد قائدًا كالسيد حسن نصر الله (رضوان الله عليه)؛ ومع ذلك، ازدادت قوّة هجمات حزب الله، وتعزّزت قبضته الحديدية، وأصبح أقوى ممّا كان عليه من قبل. حتى أنّ العدو اعترف بذلك. ظنّوا أنّهم بقتل القادة يمكنهم التقدّم في لبنان، وإضعاف حزب الله، ودفعه للتراجع إلى نهر الليطاني؛ لكنهم فشلوا. حزب الله صمد بكل قوّة، حتى أنهم هم من طلبوا وقف إطلاق النار. هذه هي المقاومة.

• غزّة صامدة رغم المجازر

انظروا إلى غزة! مضى الآن أكثر من عام وشهور وهم يقصفون غزة،

قتلوا قادة بارزين مثل يحيى السنوار، أدخلوا ضربات قوية؛ ومع ذلك، الشعب صامد. كانوا يعتقدون أنهم سيضغطون على الشعب ليثور ضد حماس؛ ولكن النتيجة كانت عكسية، إذ أصبح الشعب أكثر دعمًا لحماس. الأمر نفسه ينطبق على الجهاد الإسلامي، وعلى بقية القوى الفلسطينيّة. هذه هي المقاومة، وهذه هي جبهة المقاومة: كلما زاد الضغط، أصبحت أقوى؛ كلما زادت الجرائم، أصبحت أكثر إصرارًا؛ وكلما حاربتهم، أصبحوا أكثر انتشارًا.

وبعون الله وقوته، ستنتشر المقاومة أكثر من أي وقت مضى لتشمل المنطقة بأكملها.

• المقاومة متأصّلة في الشعوب

المقاومة تعني الصمود في وجه هيمنة أمريكا وأيّ قوّة مهيمنة أخرى؛ هذا هو معنى المقاومة. المقاومة تعني النضال ضد التبعية لهذه القوى؛ المقاومة تعني أن لا تصبح الشعوب خاضعة لقوّة عظمى. هذا المفهوم للمقاومة متأصل في إيمان شعوب المنطقة. لا أتحدث عن الحكومات؛ الشعوب تعطي أهمية للمقاومة. جذور المقاومة تكمن في إيمان الشعوب وقناعاتها. رأيتم كيف كانت ردود فعل شعوب المنطقة في دعم غزة؟ أشخاص لا يتحدّثون لغتهم، ولم يزوروا مناطقهم، ولا يعرفونهم شخصيًا، وقفوا في جميع أنحاء المنطقة ضد الكيان الصهيونيّ ودعمًا لشعب غزة. هذا الاعتقاد المشترك بين شعوب المنطقة هو السبب.

لاحظوا، قد مرَّ الآن نحو 75 عامًا على اغتصاب فلسطين. حادثة وقعت قبل 75 عامًا كان من المفترض أن تفقد أهميتها تدريجيًا، وتُنسى، وتخبو. لكن ما نراه اليوم هو أن صمود شعوب المنطقة والفلسطينيين أنفسهم من أجل القضية الفلسطينية أصبح ربما أقوى عشر مرات مما كان عليه في البداية. بدلًا من أن تخبو القضية، تزداد قوة وتأثيرًا؛ هذه هي خاصية الاعتقادات المشتركة والعامة، وهذا بالطبع سيستمر. هذه سنّة إلهيّة، واليوم نشهد هذا الدرس التاريخي يتجلّى أمام أعيننا في غزة ولبنان.

الهوامش

*من خطاب لسماحته دام ظله ألقاها بتاريخ: 2024/12/11م. هذه سنة إلهية، واليوم نشهد هذا الدرس التاريخي يتجلى أمام أعيننا في غزة ولبنان.

مقاومتنا روحها حسينيّة*

سيّد شهداء الأمّة سماحة السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليه)

أود أن أتحّدث عن المقاومة الإسلاميـة، عن هذه المسيرة، بوصفها إحـدى نتائج كـربلاء العظيمة بعد مئات السنين. وهذه المقاومة بما عانته وما أنجزته ومـا زالـت فيه اليوم، هي شاهدٌ تاريخيٌّ معاصرٌ على حياة كربلاء وقوة الحياة والتأثير في كـربلاء وفي شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وفـي انتصار الدم على السيف.

• مقاومتنا أسّست على التقوى

لقد أسّست المقاومة الإسلامية على التقوى من أول يوم، منذ الأيام الأولى، في اجتياح عام 1982م، التقى رجالٌ مؤمنون علماء وأساتذة للتعامل مع مستجد كبير وخطير وتاريخي في بلدنا؛ الاجتياح الإسرائيليّ للجنوب، وخلال أيام قليلة بات العدوّ على مشارف العاصمة والضواحي في سياق مشروع سياسي أميركي، إلى حدّ أن روّجت حينها بعض الصحف عنوان "دخول لبنان في العصر الإسرائيليّ". السؤال المركزي: ما هي المسؤوليّة الشرعيّة علينا بوصفنا مؤمنين بالله تعالى، والقيام بها وفيه رضى الله سبحانه وتعالى وطاعته، وفي تركها معصية الله عز وجل وغضبه؟ وهو ما نعبّر عنه الآن بالتكليف الشرعيّ.

لقد أسّست المقاومة الإسلامية على التقوى من أول يوم، منذ الأيام الأولى في اجتياح عام 1982 م

انطلقت المقاومة الإسلاميّة من هذا السؤال أمام هذا الطارئ العسكري والأمنيّ والسياسيّ والاستراتيجيّ والتاريخيّ.

من واجب أي إنسان يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويؤمن باليوم الآخر، يعلم أنّ الدنيا فانية، وأنَّ الحياة الأبدية هي الآخرة، وأنّ ثمّة حساباً بين يدي الله سبحانه وتعالى ويوم القيامة، كما ورد في الآيات وكما فسّر بشكل واضح ودقيق الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه): ثمّة نوعان من الحساب: الأوّل حساب أفراد، كلّ فرد يحاسب ويُسأل عن حقوق الآخرين عليه من أمّه وأبيه وزوجته وأبنائه وجيرانه وحلاله وحرامه وطعامه وشرابه. والثاني حساب الجماعات؛ الأمم، الأقوام؛ أي أنّنا يوم القيامة نحاسب جماعةً، مثلاً نحاسب عن الشؤون العامّة التي هيّ مسؤولية الشعب، أو الذين ينتمون إلى جماعة معيّنة سيُسألون عن سلوكهم وعن أدائهم وعن أقوالهم وعن أفعالهم، عن حربهم وعن سلمهم.

• التكليف الشرعيّ ثقافة كربلاء

بدأنا بهذه الخلفية الفكرية، وهذا أحد أهمّ دروس كـربلاء، فالإمام الحسين عليه السلام انطلق من خلال تشخيصه تكليفه الإلهي والشرعي تُجاه الإسلام وتُجاه الحاضر والمستقبل، وأنّه لا يستطيع أن يسكت على يزيد، وأن يواجهه ولو أدى ذلك إلى القتال وإلى الشهادة. من الخطأ ربط كربلاء فقط بالصفات الشخصية للإمام الحسين عليه السلام، بمعنى أنّه نهض لأنه كان شجاعاً أبيّ الضيم، لأنّ الإمام الحسن عليه السلام كان كذلك أيضاً، إذاً المسألة لا ترتبط بالصفات الشخصية، بل بالتكليف والمسؤولية الملقاة على عاتق المُكلّف

على ضوء الظروف والتهديدات والفرص والأوضاع وما شاكل. المسألة الرئيسية إذاً في فهم كربلاء تبدأ من أنَّ الحسين عليه السلام نهض على ضوء الأحداث والظروف والمخاطر والتهديدات والفرص. في مسيرتنا المباركة يجب أن يبقى الأصل دائماً هو أن نبحث عن تكليفنا الشرعيّ لنؤديه، وبالطبع تحديده يتم بعملية تُلاحظ المبادئ والقواعد والأصول الإسلامية والإيمانية، والظروف والمعطيات والفرص والتهديدات والمصالح والمفاسد. وهذه الأمور يرُجع فيها إلى أهل الاختصاص الفقهيّ والعلميّ والمهنيّ والفنيّ والتقنيّ.

- **إخلاص المسيرة حسينيّ**

ثانياً عندما نذهب إلى أداء التكليف، يجب أيضاً أن نكون صادقين مع الله سبحانه وتعالى مخلصين في عملنا لله سبحانه وتعالى، وأن نؤمن بأنّ هذا الجهاد هو في سبيل الله، هو جهدٌ وتعبٌ وسهرٌ وخدمةٌ وعناءٌ وتحملٌ واحتسابٌ وتضحيةٌ في عين الله وفي سبيل الله سبحانه وتعالى، عندها يكون لمقاومتنا الكثير من النتائج الدنيوية فضلاً عن النتائج الأخروية. وهذا ما تعلّمناه من الإمام الحسين عليه السلام، الذي كان حريصاً أن يصحب معه إلى كربلاء الصادقين المخلِصين المخلَصين، وكان صريحاً جداً معهم، عندما جاء نبأ استشهاد مسلم بن عقيل وهاني بن عروة صارحهم الحسين عليه السلام؛ ليميّز الخبيث من الطيب، ليبقى الصادق وينسحب من جاء من أجل شيءٍ من حطام هذه الدنيا الفانية. حتى ليلة العاشر عندما أحلَّ أصحابه من البيعة وقال لهم: "ألا إنَّ هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً" أراد أن يرتقي بهم إلى أعلى مستوى من الصدق والنقاء والصفاء والإخلاص لله سبحانه وتعالى، في قتالهم وفي ثباتهم وفي جهادهم. هذه ميزة في مسيرتنا أيضاً، نحن شهدنا الكثير من هذا الإخلاص لدى المجاهدين وعوائل الشهداء والجرحى وعوائلهم والأسرى، ولدى المسؤولين الإخوة والأخوات، ولدى الناس في بيئتنا، ولدى جمهور المقاومة، الذين احتضنوا وصبروا وضحّوا.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «اللّهم إنّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منا منافسةً في سلطان ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك؛ فيأمن المظلومون من عبادك». لأنّك يا ربّنا هذه إرادتك ومشيئتك، فنحن لا نبحث عن حطام في هذه الدنيا، لا نبحث عن حطام هذه الدنيا.

- **تحمّل التضحيات حسينيّ**

هذه المقاومة منذ البداية كان صدقها وإخلاصها لله عزّ وجل من

شهدنا الكثير من الإخلاص لدى المجاهدين وعوائل الشهداء والجرحى وعوائلهم والأسرى، ولدى الناس في بيئتنا، ولدى جمهور المقاومة، الذين احتضنوا وصبروا وضحّوا.

البدايات من الخطاب إلى التبليغ إلى الدعوة إلى هذا الخيار إلى الاستقطاب إلى التنظيم إلى التشكيل إلى التدريب إلى معسكرات التدريب متدرِّبين ومدرِّبين، إلى الالتحاق بمجموعات العمليّات إلى تنفيذ الكمائن إلى العمليات الاستشهادية، إلى الشهداء، إلى تحمل الجراح إلى الأسرى في السجون، إلى التبعات إلى الهدم إلى الدمار إلى كلّ ما حصل حتّى اليوم، خلال أكثر من أربعين عاماً لم يكن منافسةً في سلطان، إنّما أداءً لتكليفنا الإلهيّ الشرعيّ؛ ليأمن عباد الله، ولتتحرر الأرض التي احتلت ظلماً وعدواناً؛ ليكون للناس كرامتهم وسعادتهم وهناءة عيشهم. هذا لله عزّ وجل.

بكلّ صدق وصراحة، أوّل عشرين سنة، عندما كنّا نتحدّث عن نصر عسكريّ وسياسيّ، كنّا نراه بعيداً، لكنّنا كنا على يقين به لثقتنا بالله، وأنَّ النصر بيده، وسيأتي، لكن لم نكن نعلم متى سيأتي.

كثيرون من تلك الحقبة ارتفعوا شهداءً وهم في ريعان الشباب، ولم نكن نأمل أن نعيش إلى اليوم، وأن تشيب لحانا، فقد كنّا نتوقع الشهادة والكمائن والغارات والعبوات والاغتيالات والمؤامرات والحروب على طول الطريق، لكنّ الله نصرنا.

الهوامش

*من خطاب لسماحة شهيد الأمّة السيد حسن نصر الله (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 2022/7/31م.

قيم القتال والجهاد في نهج البلاغة

العلّامة الشهيد السيّد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه)

وجهٌ خاصّ عرفه طلّاب العلم عن العلّامة الشهيد السيّد هاشم صفيّ الدين (رضوان الله عليه)، وهو الباحث المُفكّر دقيق الغور.

نعرض في هذه السطور وقفات مع بعض القيم التي وردت على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، بخصوص القتال وتوابعه، والتي قام سماحة العلّامة الشهيد السيّد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه) بشرحها وبيانها

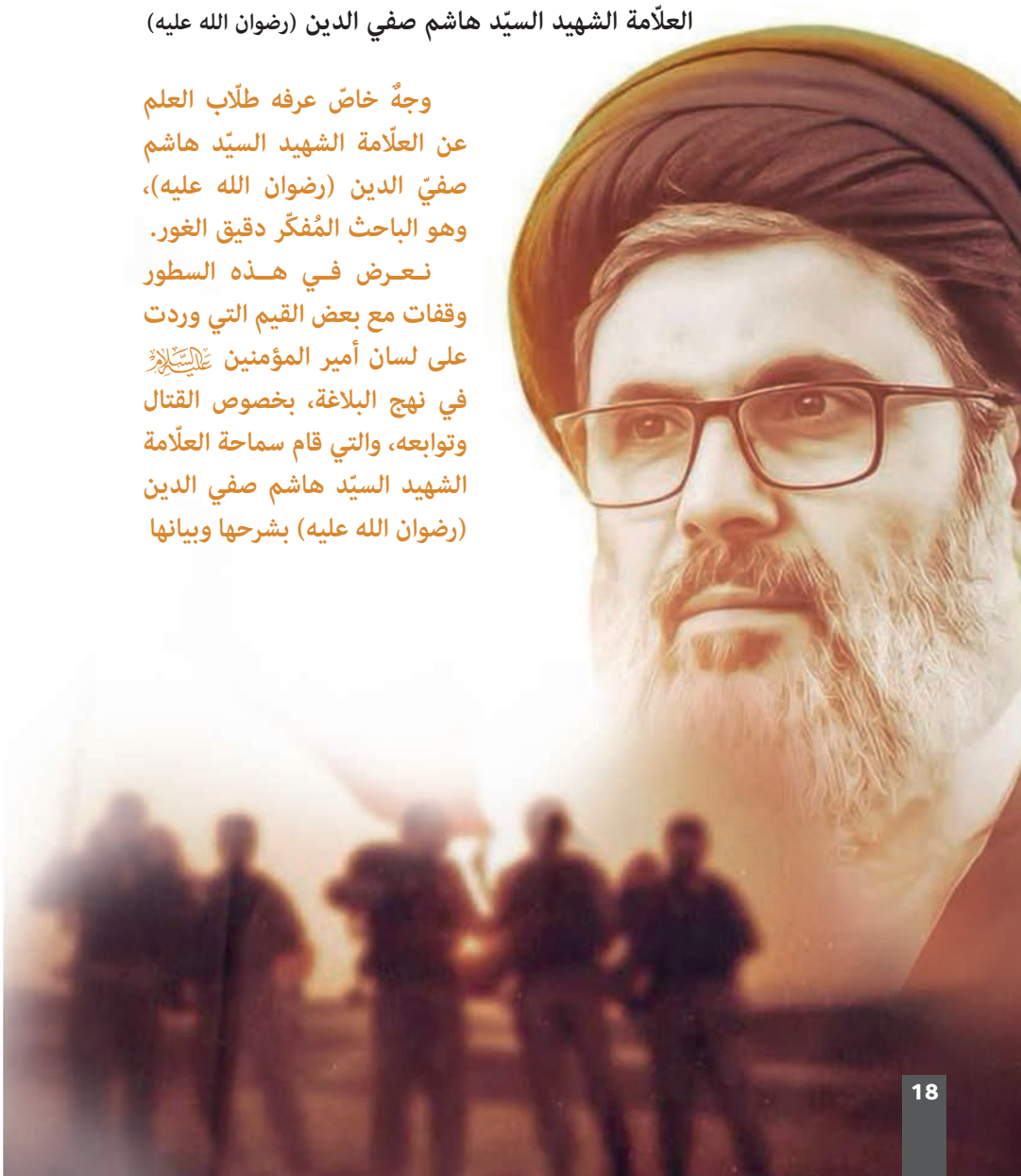

• العزيز والذليل عند أمير المؤمنين عليه السلام

يحتاج تحديد الموقف من المعتدي والمُعتدى عليه إلى ميزان ومعيار، كما يحتاج إلى شجاعة ومسؤوليّة، فكم من معتدٍ يحتمي بمواقف الناس الذين يحيطون به؛ لأنّه قويّ في نظرهم، أو لأنّه صاحب سلطة لا يُقاوم، أو صاحب يدٍ لا يُخالف، أو صاحب دهاءٍ ومكرٍ أخفى الواقع عن الناس فرأوه على عكس حقيقته! وكم من مظلومٍ تنكّر الناس لحقّه! إمّا لأنّه ضعيف لا يُعتنى به، أو فقيرٍ لا منفعة مرجوّة منه، أو قليل الحيلة لا يُحسن الدفاع عن نفسه ولا بيان حقّه. هذا كلُّه مستنبط من الواقع المليء بالأخطاء والمظالم والحقوق المضيّعة، وهو كلّه نتاج خلل في المعرفة أو البناء الإنسانيّ والدينيّ أو الاجتماعيّ المنصف عند الأفراد، بل حتّى عند المجموعات.

إنّ كلامَ الإمام عليه السلام: "الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ"[1]، قاعدةٌ ذهبيّة لاستقامة الإنسانيّة في نفس الإنسان، قبل أيّ ردّ فعلٍ تجاه الآخر، ومن يملك قدرة الفكر وشجاعة الموقف ينظر إلى الحقوق كما هي، فلا يتأثّر بعوامل منحرفة تكون سبباً لإلحاق الأذى بآخرين، فالمهمّ ليس معرفة الحقّ إلى جانب أيّ طرف فحسب، بل إنّ المهمّ هو الحكم على الذليل أنّه عزيز حتّى نتمكّن من إعادة حقّه إليه، وهذا يرتّب مسؤوليّة. وهكذا الحال في الحكم على الأقوياء الذين قد يصل بهم العدوان إلى حالة التجبّر والعلوّ والعتوّ في الأرض، فالإمام عليه السلام يعلّمنا؛ كي لا نؤخذ بظواهر خدّاعة، ونبقى مصرّين على إمساك خيط المعرفة والعدالة والإنصاف من طرفه الذي يُوصل إلى مستوى حفظ أمانة الحفاظ على حقوق الناس. فالمعتدي مهما علا كعبه يجب أن ننظر إليه بازدراء واستخفاف، ونتعامل معه على هذا الأساس، والمُعتدى عليه نتعاطف معه، ونقف إلى جانبه، ونعمل على استرداد حقّه، فلا يهدأ لنا بال حتّى تحقيق ذلك.

المعتدي مهما علا كعبه يجب أن ننظر إليه بازدراء واستخفاف

إنّ الأخذ بهذه القاعدة كفيلٌ بإصلاح المجتمع ورفعه إلى المستوى الداعي إلى الله بالعمل والممارسة، قبل أيّ كلام أو ادّعاء.

• النهي عن الغدر

عن أمير المؤمنين عليه السلام: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ"[2].

الحيلة دأبُ أهل السياسة في تحقيق مرادهم، وهي استخدام العقل والتجربة والأدوات المتاحة والموقع وكلُّ شيءٍ وقعت اليد عليه من أجل تحقيق الغاية بشكلٍ موارب. إلّا أنّ الإمام عليه السلام يثبّت قاعدة، هي أنّ الوصول إلى وجوه الحيلة لوحده ليس كافياً، بل لا بدّ للمؤمن من أن يعرض الأمر على الحكم الشرعيّ والقواعد الدينيّة والأخلاقيّة، فما كان منه مخالفاً للشرع ينأى بنفسه عنه، بينما الذي لا دين له لا يجد حرجاً في التوسّل بأيّ طريقةٍ، حتّى لو كانت سبباً في ظلم الآخرين أو الغدر أو الخيانة. إنّ توجيه الإمام عليه السلام يجعل للعمل السياسيّ عمقاً أبعد غوراً من الوصول إلى تحقيق مآرب سياسيّة أو عسكريّة كيفما كان، وحتّى الخديعة التي أجيز فيها في الشرع حال القتال، فإنّها غير مطلقة، ولا بدّ من أن تتقيّد بقيودٍ لا تُخرجها عن الهدف الساميّ للعمل السياسيّ المشروع في الإسلام

وفي مورد آخر ورد من كلام له عليه السلام في توبيخ بعض أصحابه: "كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ، وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ، كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ"[3]. إنّ القائد بالمفهوم الإسلاميّ ليس هو الناجح في إدارة الموقف وتحقيق الهدف السياسيّ فحسب، وإنّما هو القدوة والقادر على امتثال الموقف الشرعيّ الذي يرضي الله تعالى قبل الناس، وهو الذي يعمل لإصلاح المجتمع بزرع القيم الصحيحة والعادلة وتكريسها، وقبل ذلك عليه أن يحافظ على الصلاح في نفسه.

• الحياة في موتكم قاهرين

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يحثّ الناس على الجهاد في صفّين: "قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ، فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ"[4].

لا يُفهم من القاعدة العامّة التي أطلقها الإمام عليه السلام "فالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ" أنّ المطلوب في مواجهة العدوان هو استرخاص الموت على أيّ حال، بل إنّ المبدأ الذي يقرّه

الإمام عليه السلام ويريده أن يكون ثقافةً وطريقةً متّبعةً هو أن يعمل أهل الإيمان والحقّ على قهر عدوّهم، من دون أن يكونوا مقهورين حتّى لو استلزم الأمر تقديم الأنفس؛ ذلك أنّ الهدف الساميّ لمعركة الحقّ ضدّ الباطل يقتضي العمل على تحقيقه من دون الالتفات إلى الخسائر التي قد يخاف منها الناس عادة، وهذا يؤشّر على أهمّيّة الأهداف الإلهيّة في لحظة عدوان الباطل وأهله. ومن المعلوم أنّ جعل قهر العدوّ هدفاً دائماً، يُضفي على معسكر الإيمان، إلى جانب المشروعيّة، قوّةً مستمدّةً من المنهج القويم الذي لا يجوز تركه مهما كانت التضحيات. وإذا استقرَّ هذا المعنى، فالمطلوب من أهل الحقّ والإيمان أن يعملوا دائماً على تحقيق كلّ مقدّمات النصر والقهر للأعداء وتوفيرها، وهو تعبير آخر عن قوله تعالى: ﴿**وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا**﴾ (النساء: 76) و﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ (الفتح: 10) ليصبح المعيار نصرة الدين كهدف، وليس الخسائر وحجمها. ولا يخفى ما لهذه الثقافة من بُعد نفسيّ وروحيّ نحتاجه في كلّ معركة في مواجهة أعداء الحقّ.

- **القتال هدفه الهداية**

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا»[5].

إنّ صريح كلام الإمام عليه السلام يفصح عن قاعدة ذهبيّة في العمل العسكريّ والسياسيّ، وهي أنّ القتال بذاته ليس هدفاً، بل إنّ أصل مشروعيّته وأهميّته في كونه طريقاً للهداية، خاصّة إذا كان في مواجهة الضالّين من المسلمين. بالتالي، فالإمام عليه السلام يعلّمنا أن تحقيق الغاية، إذا كان متيسّراً بالإقناع أو إلقاء الحجج أو حتّى التفاوض المشروع المحافظ على المبادئ والأهداف، فإنّه مقدَّم على القتال والخروج إلى الحرب، بل هو في نظر الإمام عليه السلام أفضل من قتل المسلمين وتحميل أعبائه على من سبّب في تحقّق هذه الضلالة والغواية وسفك الدماء بين المسلمين. وهذا الكلام يدحض كلّ ادّعاء يريد أن يوسم المسلمين بتعطّشهم للحرب والدماء، وأنّ الدين الإسلاميّ وتشريعاته تشجّع على الحروب والقتل وإراقة الدماء، فهذا كلّه نتيجة الجهل بالدين وأحكامه وغاياته. نعم، حين يكون القتال لازماً لمصلحة تخدم هدف الهداية، ولو بشكل غير مباشر، فإنّ المطلوب القيام

بالوظيفة بكلّ شجاعة وثقة وعدم تردّد، كي لا يطمع الأعداء ولا تفوت المصالح. وإنّ القيادة الشرعيّة المسؤولة عن تحديد المطلوب وتشخيص الموقف لا تعتني بالمثبّطات ولا بالادّعاءات؛ لأنّ طريقها واضح، وحجّتها بيّنة، ويزيد في ذلك الإمهال وإفساح المجال لرأب الصدع وتجنّب المعارك

إنّ هذه القاعدة تشكّل مرتكزاً أساسيّاً في فهم الرؤية الإسلاميّة للحروب والمشاركة فيها، وهي تصلح لكلّ زمان ولكلّ مرحلة، إلّا أنّ التشخيص بيد من له الأمر والنهي شرعاً.

- **الاعتداد بالذات**

من كلام الإمام عليه السلام: «وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ»[6].

من المزالق الخطرة التي ينجرف فيها المؤمن نحو الهاوية، هي اعتداده بذاته واتّكاله على نفسه أكثر ممّا يجب، فإذا نال حظّاً من العلم يُقفل على

عقله وقلبه، فلا يستفيد من الآخرين، والأسوأ حين يصدّ الرأي الآخر قبل الاستماع إليه أو التمعّن فيه، وإذا أوتي بعضاً من سلطةٍ أو امتيازٍ تحكّم واستبدّ برأيه وأحكامه. فالإمام عليه السلام يعتبر أنّ الرجوع إلى الإمام، الذي أوجب الله عزّ وجلّ طاعته، هو ما يجنّب الإنسان الشبهات ويعالج المعضلات التي تكون سبباً -بحسب العادة- للانحراف والعناد والتشبّث بما يعتقد أو يرى، بينما الحقيقة الدينيّة أمّنت هذا الجانب الخطير، وجنّبت المؤمنين الانجرار نحو الآراء الخاصّة في الأمور المفصليّة والحيويّة، وألقت عن كاهلهم هذه المسؤوليّة في اتّباع إمام زمانهم وقيادتهم الشرعيّة. ومن نتائج هذا الاعتقاد أمران:

1. مهما بلغ الإنسان المؤمن من مقام علميّ أو موقع ذي شأن، عليه أن يبقى متواضعاً في اندفاعاته وخياراته المهمّة، والمطلوب التفتيش دائماً عن صخرة أمان يعتمد عليها فيأمن على نفسه وعلى من يتّبعه.
2. أنّ الاعتماد في الأمور المفصليّة اجتماعيّاً وسياسيّاً على آراء الناس كما هي لهوَ أمرٌ خطير في نتائجه وارتداداته وآثاره، وتكون الآراء معتبرةً إذا تمّ تغطيتها من القائد الشرعيّ أو استقت المواقف من المنابع الشرعيّة. ولعلّ الكثير من الويلات حصلت نتيجة تشتّت الناس والنخب في اتّباعهم لآرائهم الخاصّة غير المأمونة من الأهواء التي تنتج اختلافات وصراعات.

• السادس: العمل بالحقّ

ورد عنه عليه السلام: «إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَّتَهُ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَ زَادَهُ»[7].

إنّ قبول الحقّ في العادة أمر صعب، وإن كان ادّعاء قبوله شائعاً بين الناس، بينما العمل به هو أكثر صعوبة عند خواصّ الناس والمؤمنين، فكيف بعوامّهم؟ لذا، فإنّ أفضل الناس عند الله تعالى هم من قبلوا العمل بالحقّ وعملوا به حتّى لو كان خلاف مصالحهم ورغباتهم. فالذين يخضعون للحقّ في مقام العمل قليلون جدّاً وربمّا يكونون نادرين؛ إذ قد تجد علماء وخيرة المتديّنين حين يكون الحكم الشرعيّ لغير صالحهم من الصعب أن يقبلوا فيه، فكيف الحال بالنسبة إلى منكري الباطل؟

الهوامش

(1) نهج البلاغة، ج1، ص 89.
(2) المصدر نفسه، خ 41، ج 2، ص 312.
(3) المصدر نفسه، ج6، ص 102.
(4) المصدر نفسه، ج 3، ص 244.
(5) المصدر نفسه، ج 1، ص 12.
(6) المصدر نفسه، ج 6، ص 384.
(7) المصدر نفسه، ج 1، ص 80.

كونوا مع الصادقين(2)*

الشهيد السيّد عبد الحسين دستغيب قدس سره

عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال: «إنّ لقمان قال لابنه: يا بنيّ، صاحب العلماء وجالسهم، وزرهم في بيوتهم، لعلّك إن تشبههم فتكون منهم»[1].

لماذا هذا التشديد على صحبة العلماء والصادقين والأخيار؟ الإجابة في هذا المقال استكمالاً لما عرضناه في العدد السابق.

- **علامات أهل اليقين**

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تجلسوا عند كلّ عالم إلّا عالم يدعوكم من الخمس إلى خمس:

1. من الشكّ إلى اليقين.
2. ومن الكِبر إلى التواضع.
3. ومن الرياء إلى الإخلاص.
4. ومن العداوة إلى النصيحة.
5. ومن الرغبة إلى الزهد"[2].

إنّ المراد من الدعوة إلى اليقين والتواضع والإخلاص والزهد والنصيحة ليس مجرّد الدعوة باللسان، إذ لا فائدة منها، بل هي تعطي نتيجة معكوسة، لأنّ الشخص الذي يدعو غيره باللسان إلى اليقين والتواضع والإخلاص، ولكنّه يكون من أهل الشكّ والرياء والكِبر والعداوة وحبّ الدنيا. سيؤثر سلباً على غيره؛ فإنّ هذه المفاسد ستزيد في ذلك الشخص الآخر بنسبة أكبر، وسيقول: لو كان هذا صحيحاً لالتزم هو بها!

وإذا لم يعرف بأنّ من وعظه لا يلتزم بمواعظه، فإنّ ظلمة شكّ الواعظ ورياءه وتكبّره ستترك أثرها في وعظه. فالمراد بالدعوة، إذاً، الدعوة إلى المحاسن المذكورة بواسطة القول والعمل وببركة نورانيّة باطنه أي قلبه، ليتأثّر جليسه ومحدّثه بتلك الآثار المذكورة.

قال الحواريّون لعيسى ابن مريم عليه السلام: يا روح الله، من نجالس؟ قال عليه السلام: "من (تذكّركم بالله) رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله"[3].

يقول الإمام الباقر عليه السلام: "لمجلس أجلسه إلى من أثق به، أوثق في نفسي من عمل سنة"[4].

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «لمجلس أجلسه إلى من أثق به، أوثق في نفسي من عمل سنة»

- **صورة الأصدقاء عند الموت**

يقول أمير المؤمنين عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "انظروا من تحادثون، فإنّه ليس من أحد ينزل به الموت إلّا مثل له أصحابه إلى الله، إن كانوا خياراً فخياراً، وإن كانوا شراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلّا تمثّلت له عند موته"[5].

وتؤيّد هذا الحديث رواية عن أنس بن مالك، قال:جاء رجل من أهل البادية -وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية-، يسأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله، متى قيام الساعة؟ فحضرت الصلاة، فلمّا قضى صلاته قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: أنا يا رسول

الله، قال: فما أعددت لها؟ قال: والله ما أعددت لها من كثير عمل، صلاة ولا صوم، إلّا أنّي أحبّ الله ورسوله، فقال له النبيّ ﷺ: المرء مع من أحبّ"[6].

حقّاً، إنّ أهل اليقين الذين تتوفّر فيهم الأوصاف المذكورة، يندر وجودهم، خصوصاً في زماننا.

عن الإمام الصادق عليه السلام: "المؤمنة أعزّ من المؤمن، والمؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر، فمن منكم رأى الكبريت الأحمر؟"[7].

قال أبو جعفر (الباقر) عليه السلام: «ارتدّ الناس إلّا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذرّ والمقداد»

عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: يا أبا محمّد، الإسلام درجة؟ قلت: نعم، قال: والإيمان على الإسلام درجة؟ قلت: نعم، قال: والتقوى على الإيمان درجة؟ قلت: نعم، قال: واليقين على التقوى درجة؟ قلت: نعم، قال: فما أوتي الناس أقلّ من اليقين، وإنّما تمسّكتم بأدنى الإسلام فإيّاكم أن ينفلت من أيديكم"[8].

إذاً، كم ينبغي أن نخاف ونحذر ونتضرّع إلى الله باستمرار ليثبّتنا ويكون ورد لساننا دائماً دعاء الغريق: "يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا مقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك"[9].

يقول عليّ بن جعفر: "سمعت أبا الحسن (الإمام الرضا) عليه السلام يقول: ليس كلّ من قال بولايتنا مؤمناً، ولكن جعلوا أنساً للمؤمنين"[10].

• الصحابة القلّة

عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر (الباقر) عليه السلام: جُعلت فداك، ما أقلنا (أي الشيعة) لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلّا -وأشار بيده- ثلاثة، قال حمران: جُعلت فداك، ما حال عمّار؟ قال: رحم الله عمّاراً أبا اليقظان بايع وقُتل شهيداً، فقلت في نفسي: ما شيء أفضل من الشهادة؟ فنظر إليّ فقال: لعلّك ترى أنّه مثل الثلاثة؟ أيهات[11] أيهات"[12].

وفي رواية أخرى: قال: قال أبو جعفر (الباقر) عليه السلام: "ارتدّ الناس إلّا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذرّ والمقداد. قال: قلت: فعمّار؟ قال: قد كان جاض جيضة، ثمّ رجع، ثمّ قال: إن أردت الذي لم يشكّ ولم يدخله شيء فالمقداد، فأمّا سلمان فإنّه عرض في قلبه أن عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلّم به لأخذتهم الأرض وهو هكذا! فلبب ووجئت عنقه حتّى تركت كالسلقة، فمرّ به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أبا عبد الله، هذا

من ذاك بايع، فبايع. وأما أبو ذرّ فأمره أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت، ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم، فأبى إلّا أن يتكلّم، فمرّ به عثمان فأمر به، ثمّ أناب الناس بعد، فكان أوّل من أناب أبو سنان الأنصاريّ وأبو عمرة وشتيرة وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حقّ أمير المؤمنين عليه السلام إلّا هؤلاء السبعة"[13].

• أهل اليقين وإطاعة الإمام عليه السلام

عن مأمون الرقي قال: كنت عند سيّدي الصادق عليه السلام إذ دخل سهل بن الحسن الخراسانيّ فسلّم عليه ثمّ جلس، فقال له: يا بن رسول الله، لكم الرأفة والرحمة وأنتم أهل بيت الإمامة، ما الذي يمنعك أن يكون لك حقّ تقعد عنه، وأنت تجد من شيعتك مئة ألف يضربون بين يديك بالسيف؟ فقال له عليه السلام: اجلس يا خراسانيّ رعى الله حقّك، ثمّ قال: يا حنيفة اسجري التنّور، فسجرته حتّى صار كالجمرة وابيضّ علوّه، ثمّ قال: يا خراسانيّ، قم فاجلس في التنّور، فقال الخراسانيّ: يا سيّدي، يا بن رسول الله، لا تعذّبني بالنار، أقلني أقالك الله، قال: قد أقلتك. فبينما نحن كذلك، إذ أقبل هارون المكّيّ ونعله في سبابته، فقال: السلام عليك يا بن رسول الله، فقال له الصادق عليه السلام: ألقِ النعل من يدك واجلس في التنّور، قال: فألقى النعل من سبابته ثمّ جلس في التنّور، وأقبل الإمام عليه السلام يحدّث الخراسانيّ حديث خراسان حتّى كأنّه شاهد لها، ثمّ قال: قم يا خراسانيّ وانظر ما في التنّور، قال: فقمت إليه فرأيته متربّعاً فخرج إلينا وسلّم علينا، فقال له الإمام عليه السلام: كم تجد بخراسان مثل هذا؟ فقال: لا والله، ولا واحداً. فقال عليه السلام: لا والله، ولا واحداً، فقال: أمّا إنّا لا نخرج في زمان لا نجد فيه خمسة معاضدين لنا، نحن أعلم بالوقت"[14].

الهوامش

*مقتبس من كتاب: القلب السليم، ج 1، ص 249-253.
(1) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج 1، ص 205.
(2) المصدر نفسه.
(3) الكافي، الشيخ الكليني، ج 1، ص 39.
(4) المصدر نفسه.
(5) المصدر نفسه، ج 2، ص 638.
(6) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 17، ص 13.
(7) الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 242.
(8) المصدر نفسه، ج 2، ص 52.
(9) من أدعية عصر الغيبة: كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ص 352.
(10) الكافي، مصدر سابق، ج 2، ص 244.
(11) أي بعد عن الحقّ رأيك.
(12) المصدر نفسه، ج 2، ص 244.
(13) اختبار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي، ج 1، ص 52. ومعنى لبب: أخذ بتلابيبه أي بخناقه، ووجئت عنقه: ضربت حتّى صارت كالسلقة، وفي رواية كالسلعة وهي كالدملة، وجاض جيضة الواردة في عمّار: المشهور أنّها حاص حيصة بالحاء المهملة. (المترجم)
(14) بحار الأنوار، مصدر سابق، ج 47، ص 123.

قيم المقاومة

سماحة الشيخ نعيم قاسم (حفظه الله)

المقاومة هي رؤيــةٌ مجتمعيّة بكلّ أبعادها. هي مقاومةٌ عسكريّة، وثقافيّة، وسياسيّة، وإعلاميّة. هي مقاومةُ الشعب والمجاهدين، ومقاومةُ الحاكم والأمّــة، ومقاومةُ الضمير الحرّ في أيّ موقع كان، ولذا الدعوة هي دائماً لبناء مجتمع المقاومة، فلا تكفي مجموعة المقاومة؛ لأنَّ مجتمع المقاومة يحمل الاستمرارية، أمّا مجموعة المقاومة فأداؤها ظرفيّ.

• الشهادة طريق إلى الهدف

الإسلام يؤمن بالشهادة طريقاً لتحقيق الهدف، وهي تتطلَّب رعايةَ ضوابطَ دقيقة للوصول إليها، فمخطئ من يظن أنَّ الشهادة هدف، فالهدف هو سبيل الله تعالى، والشهادةُ طريقٌ إلى هذا الهدف، كما إنفاقُ المال وكذلك الاستقامة طريقٌ إلى هذا الهدف. هذه الشهادة تدفع الإنسان إلى المقدِّمة، وتعيد بناء تربيته. إنّها ضدّ المحتلّين والظالمين، ولذا يجب التمييز بين الاستعداد للشهادة والإقدام عليها، فليس المقصود من ثقافة الشهادة أن تنحصر حركة المؤمنين في اتجاه السعي للشهادة وإنَّما في اتجاه توفر الاستعداد الكامل للتضحية بالنفس، عندما يتطلّب الموقف ذلك. وهنا، تمثِّل الشهادة آخر خطوة بعد استنفاد كل الجهود، لتكونَ السلاح الأمضى في المواجهة في حال عدم تكافؤ القوى، فتحقّق النتيجة الفعّالة للدفاع المشروع عن الموقع وتحصين الهدف

إنَّ الانتصار على النفس بالاستعداد للشهادة يختصر طريق الصراع مع النفس الأمَّارة بالسوء ليحوِّلها إلى نفسٍ مطمئنة

• في الشهادة... الموت سعادة

إنَّ الشهادة مع كونها أمنية القرب الأرقى من الله عزّ وجلّ، إلّا أنها مقيّدة بالزمان والمكان المناسبَين. هي جزء من التكليف الشرعيّ بضوابطه، وتصبح واجبة عند انحصار الخيارات بها، كما حصل مع الإمام الحسين عليه السلام عندما قال: «إنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برَماً»[1]، إذ انحصرت خياراته باثنين هما: الموت العزيز أو الاستسلام الذليل، وكان لا بدَّ من أحدهما، فاختار الشهادة بعزّة، على الاستسلام للظالمين بذلّ.

هذا الإمام العظيم، الذي قاتل في كربلاء، هو الـذي صبر مع أخيه الحسن عليه السلام خلال حكم معاوية، لأنّه كان يرى خيارات أخرى قبل الوصول إلى خيار الشهادة. وبما أنَّ أمانة النفس الإنسانية عظيمةٌ

عند الله، لا يمكن لأيّ إنسان أن يستهتر بها، ولا أن يتسرَّع في زجِّها في مواقع الخطر والموت، أو أن يتَّخذ قراره بالشهادة في كل حادثةٍ أو صعوبةٍ تواجهه. فالعطاءُ النبيل للشهادة، والتي هي ثمرة الدفاع المشروع في التوقيت والزمان المناسبين، يجب أن يكون بقرار من القيادة الشرعية الحكيمة المسؤولة التي تحمل مسؤولية الدماء، إذ لا يستطيع أي فرد من الأفراد أن يذهب ويقدِّم نفسه كيفما كان.

• انتصار على النفس

إنّ الدرجة العليا للشهداء عند الله تعالى تجعل الشهادة في هذا الواقع وهذه الأهمية، وتحفِّز المؤمنين للطموح إلى تحصيلها، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ (التوبة: 20)، وفي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «فوق كل ذي برٍّ برّ، حتى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه برّ»[2]. وفي خطبة السيدة زينب عليها السلام في مواجهة ابن زياد قالت: «الحمد لله ربّ العالمين، الذي ختم لأوَّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة»[3]. فالشهادة خطٌّ متواصل مع الحياة الحقيقية.

إنَّ الانتصار على النفس بالاستعداد للشهادة يختصر طريق الصراع مع النفس الأمَّارة بالسوء ليحوِّلها إلى نفسٍ مطمئنة، ويرقى بالإنسان إلى أعلى درجات الاستقامة، ويساعده في استيعاب دوره ومكانته في هذه الدنيا كمعبرٍ إلى الآخرة. وبما أنَّ الموت مرتبط بالأجل، والأجل بيد الله تعالى، ﴿**فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (النحل: 61)، فخيرٌ للمرء أن يختار طريقاً يمكن أن يوفِّقه للشهادة، من أن يموت على فراشه، وهو قادرٌ أن يصنع طريقه إلى الموت من أجل الحياة، إذا وفَّقه الله تعالى لذلك.

• الخضوع للاحتلال موت

الشهادة هي ثقافة الحياة الحقيقية والعزيزة في مقابل ثقافة الموت. قيم الشهادة نبيلة، فالشهادة حياة، والتبعية والذلُّ موت. السيادة حياة، والوصاية موت. تحرير الأرض حياة، والخضوع للاحتلال موت. عن الإمام عليّ عليه السلام: «فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين»[4]، هكذا نفهم الحياة.

على هذا الأساس، تأتي المواجهة بين الحقّ والاستقامة والتحرير والفضيلة والعدالة، في مقابل الظلم، والعدوان، والاحتلال، والفساد، والطغيان. عندما لا تملك الأمة أو الثلَّة المخلصة فيها القدرة المادية والعسكرية لمواجهة الكثرة وإمكاناتها، وعندما تقف الأمة أمام خيارين:

إمَّا الاستسلام وإمَّا الوقوف والصمود، حينئذٍ لا بدَّ من اختيار الصمود مهما كانت كلفته، وهنا يأتي دور الجهاد ودور الشهادة.

• سرّ قوّتنا

فالشهادة، إذاً، تعالج خلل التوازن في الإمكانات، ومع الاستعداد للشهادة يبطل مفعول القوّة بالتخويف بالقتل، والموت؛ ما يعطي قوّة إضافية للمؤمنين، ويربك العدو العاجز عن إخافتهم، ويقوّي عامل الرفض في الأمّة، فيجعلها عصيَّة على مؤامرات الأعداء، ولا نبالغ عندما نعطي هذه القيمة الكبيرة للاستشهاد، لأنّ التجربة الواقعية قد أثبتت فعالية هذا الخيار.

قوَّة المؤمن حقٌّ إنساني مع تمنّي الشهادة، أمَّا قوة الظالم فمادّةٌ وإمكانات مع جبن وخوف. ولذا، في كل مراحل التاريخ، كان الإنسان ينتصر دائماً على القوة والمادة عندما تتوفر لديه الإرادة، وعندما يرتبط بالله تعالى.

الهوامش

(1) تاريخ الطبري، الطبري، ج4، ص304.
(2) الكافي، الكليني، ج2، ص348.
(3) بحار الأنوار، المجلسي، ج45، ص135.
(4) نهج البلاغة، الخطبة 51.

- **عشنا في زمن نصر الله**
- **معالم المجتمع الصالح في نهج البلاغة**
  وفق بيان سماحة العلامة الشهيد السيد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه)
- **عندما يكون القائد أباً للمجاهدين**
- **إنّا على العهد يا والدي**
  لقاء مع عائلة الشهيد القائد علي كركي
- **رحلة إخلاص تكلّلت بالشهادة**
  شذرات من حياة الشهيد السيد سهيل لحسينيّ (السيّد أحمد)
- **مجاهد في كلّ الميادين**
  من حياة الشيخ الشهيد نبيل قاووق (رضوان الله عليه)
- **حديثٌ مع السيّد من عليائه**

عشنا في زمن نصر الله

نهى عبد الله

عندما تأتي من بلاد لم تعرف زعماء حقيقيّين، سيصعب أن تتعلّق بقائد أو ترضى به، فكيف إذا عرفتَ قائداً يغيّر فيك كلّ هذه المفاهيم ويُربّيك بين يديه لتقول بزهو متعالٍ جدّاً إنّك تفخر بأنّك عشت في زمنه؟!

كثيرون منّا عادوا من بلاد لم تعرف هؤلاء القادة، لكنّنا في مقاومتنا حظينا بهم.

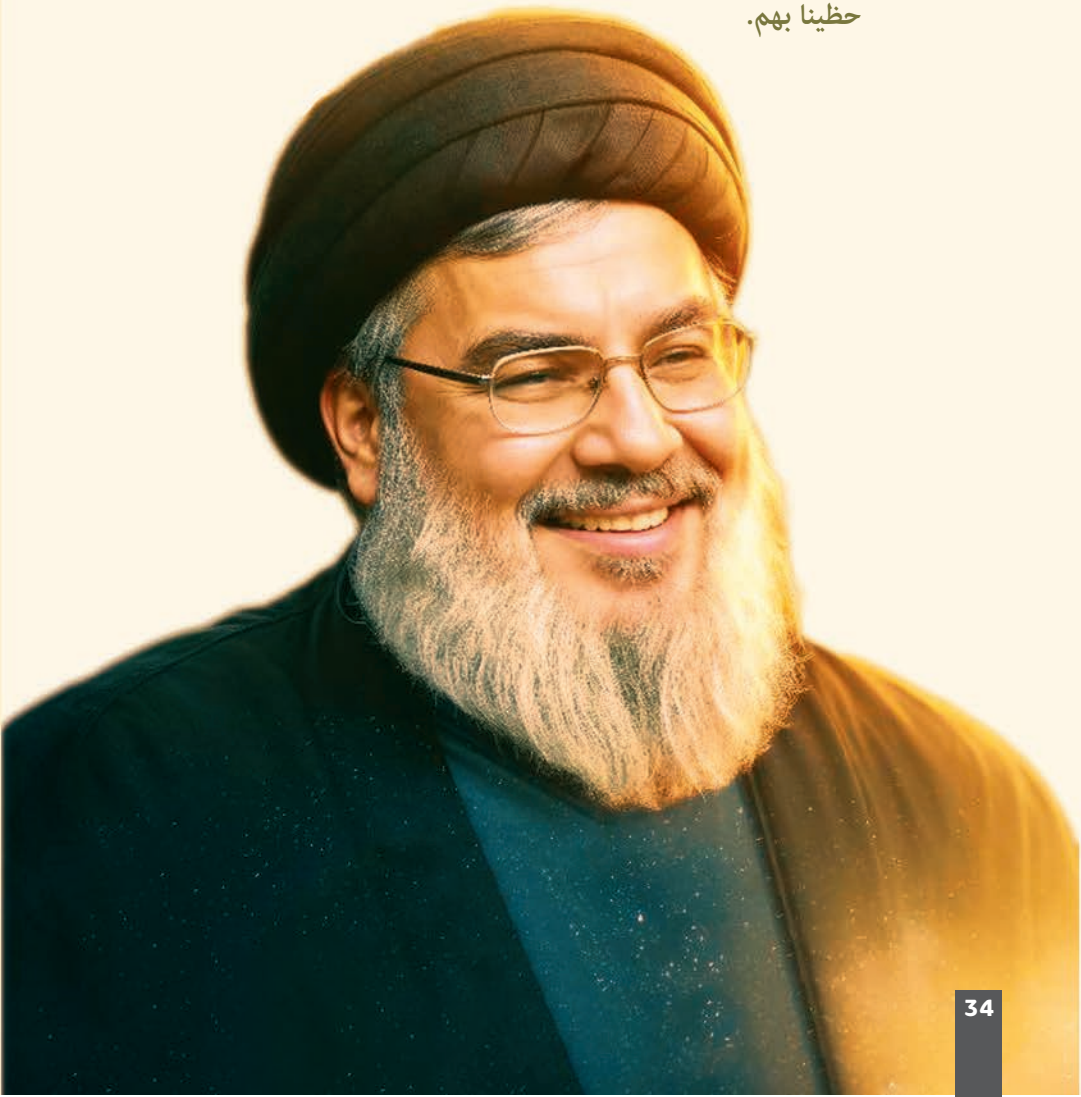

• **17 أيلول 1995م**

يومها، كانت عائلتيّ عائدةً من المغترب حديثاً، فمرّت بي إحدى قريباتي واصطحبتني لحضور احتفال شهداء 17 أيلول الذين استشهدوا تحت جسر المطار خلال مظاهرة تنديداً بمشروع معادٍ. اجتمعت الحشود وحضر شابٌّ ثلاثينيّ محاطاً بحرسه الشخصيّ واعتلى المنبر. هتفت الحشود، وهبّوا وقوفاً احتراماً له، أشارت قريبتي لي بأن أقف أيضاً، فاستنكرت ذلك وقلت لها: "الزعامة وحدها لا تكفي لأقف"، هزّت رأسها بسخرية وقالت: "ما زلتِ لم تعرفيه!". نعم، لم أكن قد عرفته ولا عرفت هذا النوع الخاصّ جدّاً من القادة، فعالمنا العربيّ مليء بنقيضه.

كان لكلامه أثرٌ عميقٌ في استنزال السكينة في قلوبنا

أنهى الكلمة التي لامس الصدق فيها مشاعري، فقد تخلّلها تبيانٌ للحادثة، وموقف واحترامٌ كبير للشهداء، ومودّة لم أعهدها في حديث قائد. شعرت أنّه يسير على الأرض مع الناس. يومها، تولّد داخلي احترام لزعيم لم أشعر به سابقاً

• **عناقيد الغضب**

عام 1996م، ظهر وجه آخر لهذا القائد؛ وضع المعادلات بحسم وشدّة، وأطلق وعداً صعباً، وكان سريعاً في الوفاء به: "أرضنا ستعود إلينا، أهلنا في الشريط سنحرّرهم ونعيدهم إلى الوطن، أهلنا خارج الشريط سندافع عنهم وسنحميهم". كان لكلامه أثرٌ عميقٌ في استنزال السكينة في قلوبنا، وبثّ الرعب في قلوب أكثر من 100 ألف محتلّ في المستوطنات المتاخمة لحدود لبنان. يومها، لم نكن ندرك شيئاً عن معادلات الحروب، لكنّ إطلالات سماحته وتبيانه الأحداث المعقّدة والعسكريّة بأسلوبه السلس والسهل الممتنع، أشعر الصغير والكبير منّا أنّه شريكٌ في تلك الحرب.

• **طائر أيلول المهاجر**

17 أيلول 1997م، ذلك يومٌ لا يُنسى. كنّا على موعد مع خطابه السنويّ عن شهداء أيلول، لكنّ المقاومة الإسلاميّة نعت عبر قناة المنار ثلاثة شهداء في عمليّة بطوليّة في الجبل الرفيع بينهم الشهيد السيّد هادي، نجله البكر، بضعة قلبه الذي قدّمه قرباناً في سبيل الله. توقّعنا نحن المُحبّون أن يُلغى الخطاب ويتفرّغ الأمين لتلقّي التعازي فقط، وخلافاً للتوقّعات، أُعلن أنّ خطاباً سيُلقى بين الناس بفارق ثلاث ساعات فقط.

مشهد المحبّين الذين غصّت بهم باحة الشورى ما زال يسكن في قلوبنا.

اعتلى الأمين العام منصّةً صغيرة ووقف بين الجموع، حامداً الله على اختيار شهيد من عائلته، وتوجّه إلى عوائل الشهداء: «كنت أخجل من النظر إلى عيونكم عند زيارتكم، فالحمد لله الذي اختار ابني شهيداً لأكون منكم ومعكم». بكينا نحن ولم يبكِ هو، تمالك جأشه ونعى الشهداء وتلا تفاصيل العمليّة وقلوبنا تراقبه متى سيبكي! لم يطلق أنّة وجع واحدة، مع أنّه كان أباً فقدَ ولده للتوّ، وعلم أنّ جثمانه وقع أسيراً في يد الأعداء. ومن دون اتّفاق مسبق، ارتفعت القبضات عالياً في لحظةٍ واحدة، وهتف المُحبّون: «كُلّنا هادي يا أبا هادي».

يومها، اتّخذ السيّد في قلوبنا جميعاً مقعداً حُسينيّاً، وبدأنا نشتمّ منه نسيماً كربلائيّاً في الصبر والإيثار والثبات.

• الآداب المعنويّة للصلاة

لم يغفل ذلك القائد عن استثمار لحظات الاستقرار التي مرّت بنا، فكان يُخصّص من وقته وقتاً لإلقاء المحاضرات والدروس الدينيّة في مفاهيم القرآن والعقيدة والأخلاق والتوجيه الاجتماعيّ. ومن أكثر ما انطبع في داخلي دروسه الأسبوعيّة في شرح كتاب «الآداب المعنويّة للصلاة» لسماحة الإمام الخمينيّ قدس سره، التي عقدها في مسجد القائم عج، الذي كان حديث الإنشاء

آنذاك. عرض موضوع المحافظة على الخشوع بطريقة بسيطة، وهو يدرك أنّ الشباب الذين يستمعون إليه بحاجة ماسّة إلى من يعطيهم مفاتيح العلاقة بالله تعالى من خلال الصلاة، عمود الدين. لم نشعر أنّ كتاب الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ ينطوي على أيّ صعوبة. ذكّرنا أنّنا ننطق بالعربيّة، وأنّنا نتمكّنُ من فهم ماذا تعني «الحمد لله ربّ العالمين»، والسرّ في أن نحمد الله قلبيّاً ونحن نتلوها، وأنّ نستحضر معنى كلّ ذكر نلفظه ببساطة. وهكذا يبقى تركيز المُصلّي إلى آخر الصلاة. بالفعل، إنّ أفضل صلاة أدّيناها كانت بعد تلك الدروس. وأذكر سرّاً أذاعه سماحته للحاضرين وقتذاك، أنّه يتمنّى أن يعود مدرّساً فقط دون مسؤوليّات أخرى ليتفرّغ لشرح كتب الإمام الخمينيّ قُدِّسَ سِرُّهُ وخطابات السيّد على الخامنئيّ دَامَ ظِلُّهُ. وكثيراً ما ردّد أنّه جنديّ في هذه المسيرة في أيّ موقع كُلّف فيه.

كان يُخصّص من وقته وقتاً لإلقاء المحاضرات والدروس الدينيّة

- **التحرير**

عرّفنا سماحته المجاهدين والاستشهاديّين في حديثه. حدّثنا قائدنا عن صلاح غندور وهيثم دبوق وعلي أشمر. أذكر يوم حدّثنا عن عمّار حمّود الصائم، آخر الاستشهاديّين، وكان ذلك في يوم القدس، حيث وقف المحبّون وصفوف المجاهدين بعد العرض العسكريّ، مشدوهين بكلماته، فخورين بإنجازات المقاومة، سعداء بوقوفهم أمام سيّدهم الحسينيّ. يومها، فاجأتنا أمطارٌ غزيرة، فأخذ السيّد بالاعتذار من الحشود والمجاهدين، لكنّنا جميعاً لم نعبأ بالأمطار ولا بنزلات البرد التي عدنا بها إلى المنازل؛ فإطلالته تشفي الأرواح.

قاد إنجازات المقاومة وحرص على نقلها إلينا، حتّى حانت ساعة التحرير وهتفت قلوب الناس مع بنادق المقاومين، وقاد ذاك النصر إلى بنت جبيل في خطاب تاريخيّ عظيم: «حرّرنا أرضنا ولن نهدأ حتّى نحرّر كلّ شبر من لبنان».

- **تموّز والوعد الصادق**

بدأ أوّل خطاب له بمفاجأة عظيمة: «البارجة الحربيّة التي روّعت أهلنا في الجنوب والضاحية، انظروا إليها الآن في عرض البحر، إنّها تحترق». دُهشنا ولم نصدّق، مقاومتنا تُغرق بارجة؟! أيّ نصر الله أنت؟

عـرّفـنـا كـيـف
نـكـون حـسـيـنـيّـيـن
فـي كـلّ زمـان

كان يكفي أن تروّع تلك البارجة قلوب الناس ليأمر المجاهدين عبر البثّ المباشر بقصفها. لم يُطل الغياب عنّا، كان يخرج ليسقي قلوبنا سكينةً، ويبثّ الرعب في قلوب الأعداء. يومها، نزحنا إلى الشام، فكنّا والدمشقيّين نترقّب كلماته، صورته تملأ الشاشات في الطرقات والشوارع، وصوته يصدح من كلّ المنازل، كنّا نزهو عندما يُعلن عن مفاجأة في جعبة المجاهدين. كان سيّد المفاجآت وسيّد الانتصارات، وكأنّما اشتقّ النصر من اسمه، وهو الذي قال عنه الشهيد الصدر قدس سره: «أرى النصر معقوداً على جبينه». في كلّ كلمة يترحّم على الشهداء، ويدعو للجرحى، ويشكر الناس على صبرهم واحتضانهم المقاومة ومساندتهم لها. يومها، خاطبهم بـ«أشرف الناس وأطهر الناس»، بلسم أوجاع الغربة والنزوح بصدقه وعاطفته، وعالج غضبهم على الأعداء بشدّة بأسه عليهم. حدّثنا عن أبطال المقاومة: «رأيتم على الشاشات كيف دمّر أبناؤكم المجاهدون مجموعة من دبّابات الميركافا التي وقعت في كمين وادي الحجير»، وبطرافته المعهودة سخر من العدوّ: «رأيتم كيف تحكّموا بها مثل لعبة (أتاري) بسيطة». أطلّ علينا قبل أن تضع الحرب أوزارها ليخبرنا أنّ النصر قريب، وأنّ جنوبنا والضاحية سيعمّران بمال نقيّ طاهر لا شبهة فيه، وأنّ البيوت ستعود أجمل ممّا كانت. لكنّ حرصه على الناس ومصيرهم كان الأجمل في عيوننا.

صدق وعده وانتصرنا وكسر صورة العدوّ «المتفوّق»، وظهر بين الجموع في الضاحية، وأعلن أنّ زمن الهزائم قد ولّى وبتنا في زمن الانتصارات.

- **عاشوراء الحسين عليه السلام**

أمّا عن أيّام الحسين عليه السلام، فكانت تبدأ بخطاب له وتنتهي بخطابَين متتاليين. كنّا نترقّب حديثه صغاراً وكباراً، عرفنا منه الحسين عليه السلام وعرفانه وذوبانه في الله، وصبر زينب عليها السلام، وأولويّات الحياة والراية والرسالة والتوكّل على الله. عرفنا منه كظم الغيظ ودعاء زين العابدين عليه السلام والمضيّ كما يخطُ الوليّ، عرفنا منه بأس العبّاس، ومتى يُغمد السيف وفي وجه من يُشهر.

عرفنا منه تاريخ الرسالة وصراع الأنبياء مع المتغطرسين. عرّفنا الدنيا مسجداً والآخرة مقرّاً. حدّثنا عن الحشر وأسباب العذاب، وعن الجنّة وصفات أهلها. عرّفنا الحجّة المهديّ عجل الله فرجه، وعلّمنا أن نؤدّي أعمالنا في سبيل التمهيد له

عرّفنا كيف نكون حسينيّين في كلّ زمان، وكيف تتكرّر الاختبارات والتحدّيات، وكيف تكون الشهادة تغييراً لواقع صدئ، وكيف نكون لائقين بالنصر.

كان سيّد العاشر، يشحن كلّ خطابات عاشوراء ليوظّفها في أحداث زماننا، فيعيد ترتيب الحكاية ورصّ الصفوف لنقف بقلوب مجتمعة عهداً مع سيّد الشهداء ألّا نخذله أو نتركه.

سيّدي أبا هادي، ماذا عن عاشوراء القادمة؟ ألن تطلّ علينا لتخبرنا عن الحسين عليه السلام، أم أنّك آثرت لقاءه واكتفيت من الكلام؟

ماذا عن النصر؟ من سيلقي خطابه علينا؟

لم يرضَ هذا النصر إلّا بمهر غالٍ، لم يرضَ إلّا بدمك ودم ثلّة من رفاق دربك المخلصين. لم يرضَ إلّا بشهادة السيّد محسن والحاج عبد القادر أب المجاهدين، وصفوة الرضوان والشيخ نبيل قاووق، والحاج «أبو الفضل» والحاج ماجد و«أبو زينب»؟

كنا ندعو بطول العمر لك، ونقول: «فـداؤك نحن» لكنّك قلت: «أنا فداؤكم». كنت رهاننا واليوم نحن رهانُك.

فبحقّ من كلّل اسمك بالنصر، أبناؤك سينجزون الوعد، ويحفظون الأمانة. أنتم القادة كتبتم التاريخ، وأبناؤكم سيعيدون ترتيب الحاضر والمستقبل.

وسنحدّث الأجيال أنّنا حظينا بأن نعيش في زمن نصر الله.

معالم المجتمع الصالح في نهج البلاغة

وفق بيان سماحة العلامة الشهيد السيد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه)

السيّد علي عبّاس الموسويّ

اعتنى العلّامة الشهيد السيّد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه) عناية خاصّة بنصوص نهج البلاغة، وعمل لمدّة متمادية من الزمن على مراجعتها وشرحها ومناقشتها، فتكوّنت لديه رؤية خاصّة من الفهم معتمدة على قواعد منهجيّة. نعرض في هذه السطور لبعض خصائص هذه الرؤية التي أسّس بنيانها وعمد إلى تطبيقها في مجالات مختلفة، والمجال الذي سوف نتعرّض له هو المجتمع، الذي يتكوّن من عنصرين: الفرد والجماعة.

- **الخطاب العلويّ على مستوى الفرد**

وجّه الإمام عليّ عليه السلام في نهج البلاغة خطاباً للفرد بوصفه عنصر التكوين الاجتماعيّ. وقد تنوّع أسلوب البيان عنده عليه السلام في لغة الخطاب أو في الإرشاد إلى أسلوب التعامل مع الفرد، ونلحظ ذلك في الآتي:

1. **المنطق والعقل:** عندما يتوجّه الإمام عليه السلام بالخطاب للأفراد، يعتمد في أحد أساليب بيانه على الجذب، لإظهار أنّ العمل بالحقّ يعود بالنفع والمصلحة الشخصيّة على الفرد. ففي شرحه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام : "وإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، ومَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى"[1]، يقول السيّد الشهيد صفي الدين: "من لطيف الاستدلال في سياق الوعظ هو استخدام الإمام عليه السلام للمنطق والعقل، وإن كان بدافع المصلحة التي تعود على الفرد، حين أشار إلى أنّ من لا يتّبع الحقّ لأنّه لا ينفعه بحسب اعتقاده، فهذا لا يعني أنّه سينجو من الباطل وآثاره. وفي السياق نفسه، من لا ينتفع بالهدى، فإنّ الضلالة سوف توقعه في المهالك".
2. **مواجهة الانحراف:** من الأساليب العلويّة الحسم في مواجهة الفرد المنحرف عن الهدى والتعنيف في مخاطبته، فمن كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس، وهو على منبر الكوفة يخطب، حيث اعترض الأشعث على كلامه عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض عليه السلام إليه بصره، ثمّ قال: "مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي؟! عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ ولَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ! حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ"[2].

يقول السيّد الشهيد في شرح ذلك: "من الضروريّ اتّخاذ موقف حازم تجاه بعض الأشخاص، وبه تُفسّر الشدّة والقسوة في مواجهة الإمام عليه السلام لكلام الأشعث؛ وذلك لأنّ خطر كلامه يصل إلى تشكيك الناس بالإمام، لأنّه بكلامه يريد إدانته عليه السلام والقول إنّه لا يصلح للإمامة. كما أنّ الوقاحة تستدعي الردع لا الحجّة والبرهان.

3. **لحاظ طبيعة الفرد:** لقد خاطب الامام عليّ عليه السلام ابن عبّاس قبل معركة الجمل قائلاً: "لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ، وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ؛ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ، وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ، فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا؟!"[3].

من الضروريّ اتّخاذ موقف حازم تجاه بعض الأشخاص

يبيّن السيّد الشهيد في تعليقه على هذا الكلام: "أراد الإمام عليه السلام من إرساله لابن عبّاس أن يحقّق هدفاً، وهو تحييد الزبير عن ساحة المعركة ومحاولة استمالته. ثمّة أرجحيّة للزبير بأنّه ألين عريكة، وفيه قابليّة التفاوض والاستمالة، بينما طلحة لم يكن عنده تلك القابليّة، وقد يُفهم من إرسال السفير إلى طلحة بنحو سلبيّ، وأنّ له شأنيّة ممّا يجعله يتكبّر ويترفّع ويتشبّث أكثر برأيه".

- **الخطاب العلويّ على مستوى الجماعة**

يظهر أسلوب تعامل الإمام عليه السلام مع الجماعة من خلال اعتبارات عدّة

1. الرابط العقديّ: من كلام له عليه السلام لمّا أظفره الله بأصحاب الجمل: وقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ، فَقَالَ لَهُ عليه السلام: "أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟"، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا ولَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وأَرْحَامِ النِّسَاءِ سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ ويَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ"[4].

يكتب السيّد الشهيد في بيان ذلك: "يبيّن الامام عليه السلام أنّ النهج المحقّ والأصيل هو نهج واحد يتجاوز الزمان والأجيال. إنّ هذا الربط العقديّ والإنسانيّ فيه ما لا يخفى من فوائد مهمّة لجهة ترابط الأحداث وتأثيرها بعضها بعضاً، وإن بعُدت المسافة، ولجهة القواعد والأسس التي تحكم مسارات المجتمع والتاريخ. لذا، يشكّل الرابط العقديّ الأساس في بناء المجتمع السليم".

2. التحلّي بصفات خاصّة: في سياق شرحه لكلام أمير المؤمنين عليه السلام: "أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلَابَ، وفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الْأَعْدَاءَ"، يقول السيّد الشهيد: "يُفهم من كلام الإمام عليه السلام أنّ من كانت أوصافهم كما ذكر عليه السلام، فإنّهم لا يؤتمنون على قضيّة، بالتالي، من أراد أن يبني جيشاً قويّاً وصادقاً ومخلصاً، عليه أن يعمل على تحلية قادته وجنوده بصفات يمكن الاعتماد عليها في مواجهة الجيوش والأعداء".

3. التذكير بالنعم: كما أنّ من أساليب الوعظ الاجتماعيّ تذكير أيّ جماعة

بالنعمة التي هم فيها مقارنة بحالهم السابقة، وهذا ما يذكره السيّد الشهيد في شرح خطبة الإمام عليه السلام التي يصف فيها العرب قبل البعثة: "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وفِي شَرِّ دَارٍ مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وحَيَّاتٍ صُمٍّ..."[5]. يقول السيّد الشهيد: "قد يضطرّ القائد لتوصيف حال المجتمع السيّئة، ويبيّن لهم الخير الذي نزل إليهم، ليدركوا قيمة ما هم عليه من النعم، ويعرفوا أنّهم إنّما نهضوا وبرزوا بسبب هذا الدين الذي جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله. وعندما يعرف الإنسان قدر النعمة التي يعيشها، فعليه أن يحرص عليها، ولا يرجع للحالة التي كان عليها من السوء والضلال".

4. التحذير من آفات خطرة: إنّ أعظم ما يشكّل خطراً على المجتمع ويكون سبباً في هلاكه هو ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليه السلام: "إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ؛ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ،... وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ"[6].

يقول السيّد الشهيد: "يحذّر الإمام عليه السلام من صنفين طالما عانت منهما الأمّة والمجتمعات، هما: أتباع الهوى والمصالح ممّن فسدوا وأفسدوا حتّى لو كانوا من أهل العلم بحسب الظاهر، وأيضاً الجَهَلة الذين يتسلّقون مواقع سلطويّة واجتماعيّة بغير حقّ فيكونون سبباً للانحرافات.

إنّ هذه الأنماط موجودة في كلّ عصر، وهو ما يستلزم زيادة أهل العلم الحقيقيّين والمخلصين كي لا يتركوا الساحات والمنابر خاليةً لأتباع السلاطين والأهواء».

5. إبــراز دور المؤمنين: بمراجعة نصوص أخرى في نهج البلاغة، يتبيّن وظيفة فئة من الناس في القيام بالمواجهة مع هؤلاء، فيقول السيّد الشهيد في شرح: "أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ وزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً ويَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا ولَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا ولَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا"[7]، "في الأزمنة الرديئة حيث يعمّ الفساد ويستشري الظلم ويتواطأ أهل السلطة وأصحاب المنافع الخاصّة والمطامع الجامحة، فإنّ ثمّة فئة ممّن بقي مصباح الإيمان في قلوبهم مشتعلاً، ولم تسقطهم المفاسد والضغوطات كافّة، وكانت خشية الله هي التي تحدّد مواقفهم. وعلى الرغم من الغربة والملاحقة والتهديد والقتل، فإنّ هذه القلّةلم تترك وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

يشكّل الرابط العقديّ الأساس في بناء المجتمع السليم

6. التحذير من الجبن: يحذّر الإمام عليه السلام المجتمع والفئة المؤمنة من أن تُبتلى بآفة الجبن، فيشرح سماحته كلام الإمام عليه السلام الذي كان يحثّ فيه الناس على الجهاد: "أُفٍّ لَكُمْ، لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ، أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضاً وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفاً، إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ"[8]، يقول السيّد الشهيد: "إنّ أسوأ ما يُصاب به الفرد أو المجتمع هو الجبن والتخاذل مقابل الأعداء؛ فإنّه بذلك يكون السبب في كلّ ما يتعرّض له لاحقاً من ظلم أو قتل أو حرمان. والمجتمع الذي يغلب عليه التواني والتردّد والاختلاف في الرأي، يبقى مضطرباً وينتقل من حال سيّئ إلى آخر، بينما المطلوب أن يتحمّل الإنسان مسؤوليّته اللّازمة في الاستعداد لحمل السلاح والإقدام والشجاعة، ولو من باب أداء التكليف فقط، كي لا يطمع عدوّه به.

7. التحذير من الفتنة: من المخاطر الأساسيّة على

المجتمع الفتنة، ولذا، يفخر الإمام عليه السلام بما قام به من إطفاء الفتنة، يقول عليه السلام: "أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي"[9]، ويبيّن السيّد الشهيد كلام الإمام هذا فيقول: "الفتن الداخليّة تمزّق المجتمع وتشتّته، ذلك أنّ الأهواء هي التي توجدها وتتحكّم بمصائر الناس. والمطلوب قبل حدوث الفتن سدّ أبواب الشبهات؛ لأنّها هي المدخل الطبيعيّ للفتنة، وهذا يحتاج إلى تثبيت العقائد والرؤى، والتزام الطاعة للقيادة الشرعيّة التي تسوق الموقف وتوحّده وتجلّيه، فلا يبقى تشويش ولا اضطراب ولا ضعف، بالتالي، لا تترك مجالاً لحدوث الشبهة".

المطلوب قبل حدوث الفتن سدّ أبواب الشبهات

أمّا بعد حدوث الفتنة، فالناس على نحوين:

أ. أهل البصيرة: هم المبتلون حقيقةً بها، والمتصدّون لها ويتحمّلون المسؤوليّة.

ب. أهل العمى: هم الغافلون غير المعتنين بشأنها وبمخاطرها.

لذا، حين يتصدّى للفتنة الصلحاء، يجب أن نناصرهم ولا نبتعد عنهم بحجّة أنّهم مبتلون، وأنّ اتّباعهم سيكون مكلفاً؛ لأنّ الخيار الآخر هو الأسوأ، أي الغفلة والعمى».

وبين التبيين الصحيح لحقيقة قيام الاجتماع البشريّ وعناصره، والمخاطر المحدقة به، والتكاليف الملقاة على عاتق أهل المسؤوليّة، يمكن حفظ المجتمع الإيمانيّ وصيانته والسير به للوصول إلى أهدافه المرسومة في التعاليم الإلهيّة الرساليّة.

كان هذا المبحث لمحةً من اهتمام سماحة العلّامة الشهيد هاشم صفي الدين (رضوان الله عليه) الذي لم يترك مجلس العلم رغم كلّ مسؤولياته، وهكذا هم قادتنا.

الهوامش

(1) الخطبة 28.
(2) نهج البلاغة، الخطبة 19.
(3) نهج البلاغة، الخطبة 31.
(4) الخطبة 12
(5) نهج البلاغة، الخطبة 26.
(6) نهج البلاغة، الخطبة 17.
(7) نهج البلاغة، الخطبة 32.
(8) نهج البلاغة، الخطبة 34.
(9) الخطبة 93

عندما يكون القائد أبـــاً للمجاهدين

زهراء إبراهيم عقيل

عاش حياةً صاخبةً مليئةً بالبطولات، كان شاهداً على الكثير من التحولات وشريكاً في صناعتها، وخاض في غمارها الصعب فجعل المستحيل ممكناً، كان ممتلئاً بالحركة متجلبباً بالغياب الحيّ، وظلّاً تشكّلت من خلاله أروع معاني الحضور النورانيّ والتساميّ الإنسانيّ، والسيرة التي لا تموت. عن سيرة الشهيد القائد إبراهيم محمد عقيل نتحدث في هذا المقال.

• نشأته

ولد القائد الشهيد في الرابع والعشرين من ديسمبر من العام 1962م، في منطقة كورنيش المزرعة-بيروت، من أبوين متواضعين من بلدة "بدنايل" التابعة لقضاء بعلبك. ثم ترعرع في مكان ولادته ضمن بيئة متنوعة دينيّاً وثقافيّاً. تلقّى تعليمه الابتدائي حتى الصف الثاني المتوسط في مدرسة راهبات "سن الفيل"، وعند اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية، انتقل الى متوسطة البسطة الرسمية للبنين وأكمل التعليم المتوسط فيها، منجزاً صفَي الثالث والرابع المتوسط خلال عام دراسي واحد، وحاز على المرتبة الأولى.

أكمل تعليمه الثانوي في ثانوية بيروت العربية - زقاق البلاط. كان له حضور لافت ومميّز على المستوى الأخلاقي، يتلقّى التنويهات والإشادات على حُسن سلوكه وانضباطه واستقامته. كما حصل في العام 1982م على شهادة في برمجة الحواسيب الإلكترونية.

• المسجد في حياته

تفتَّح قلبه باكراً ومنذ نعومة أظفاره على الدين، والعلاقة بالله، فواظب على حضوره في مسجد العاملية في بيروت، وكان للمسجد تأثير محوريّ في بناء شخصيّته، فكان يهيّئ الكتب التي يودّ قراءتها، منتظراً لحظة ذهابه الى المسجد والمكوث فيه للتعبّد والقراءة. وعندما يحين وقت إغلاقه، يخرج متحسراً لانقضاء الوقت بسرعة، مُوطِّناً نفسه على العودة.

كان الشهيد مُفوّهاً ومحاوراً لامعاً منذ صغره، يخوض في نقاشات معمّقة تتناول المسائل الفلسفية المعقدة، أكان في مدرسته أو خارجها، مع طلاب أكبر منه سنّاً وبعضهم ممن اعتنقوا أفكاراً إلحادية، مقدِّماً الحجج والبراهين التي تثبت صحة الإسلام والدين المحمدي الأصيل. وعكف على قراءة الكتب الفلسفيّة متأمّلاً في ما تكتنزه من معانٍ دون اللجوء إلى معلّم أو شارح، فكان معلّم نفسه المسلَّح بالمثابرة والإرادة؛ لأنه وعلى حدّ تعبيره: "الله سبحانه وتعالى كان يعلّمنا المعارف داخل الجامع، الجامع هو نفسه معلم". ومن أهم الكتب التي اهتم بقراءتها، مؤلفات السيد محمد باقر الصدر قُدِّسَ سِرُّهُ.

ولعل أهم ما استلهمه من ارتياده للمساجد، هو المواءمة الخالصة بين الجهاد والدين الحقيقي، فالجهاد ضرورة منبثقة من كُنه الدين وماهيته، إما في سبيل ارتقاء النفس وسموها وتهذيبها، وإما في سبيل الله ذوداً

عن المظلومين والمقهورين والمستضعفين، أو بمعنى آخر ذوداً عن النّحن التي تمثّل «الأنا المجتمعية أو الجامعة». فما كان منه إلا أن غادر منزل عائلته في السادسة عشرة من عمره، ملتحقاً بصفوف المجاهدين على خطوط التماس، ملبياً لنداء الواجب.

"الله سبحانه وتعالى كان يعلّمنا المعارف داخل الجامع، الجامع هو نفسه معلم"

- **مِن هواياته**

في سنّ الخامسة عشرة، التحق الشهيد بجمعية الكشاف المسلم في بيروت، وقد أسره عالم الموسيقى، فأتقن العزف على سبع آلات موسيقية، كان في طليعتها آلة الترومبيت تليها آلة الطنبور، والبيانو، وغيرها. وتعدّى ذلك إلى تأليف بعض المقطوعات الموسيقية، إلى أن أتمَّ الشهيد سنّ التّاسعة عشرة، مع بدء الاجتياح الإسرائيليّ للبنان، فصرفه ذلك إلى ميدان آخر ألا وهو الجهاد ومقارعة المحتلّ.

- **النشاط الإسلاميّ والجهاديّ**

بادر الشهيد مع مجموعة من رفقائه إلى إنشاء حركة تهدف إلى تغيير الحالة الثقافية والسياسية والدينية الى واقع أفضل. فكان عضواً مؤسساً في حركة الجهاد الإسلامي أوائل الثمانينيات، قبل انضمامه إلى حركة المحرومين؛ وقبل تأسيس حزب الله. وخلال التصدي للاجتياح الإسرائيلي لبيروت عام 1982م، قاد عقيل عمليات بطوليّة في الصفوف الأماميّة المواجِهة.

في العام 1983م، أدرجت الإدارة الأميركية اسمه على لائحة المطلوبين لمكتب التحقيق الفدرالي بتهمة الضلوع في تفجيري السفارة الأميركية، ومقر المشاة البحرية الأميركية في بيروت. ثم أصدرت المنظمة الدوليّة للشرطة الجنائية (الإنتربول)، إشعارات حمراء عدّة تدعو إلى اعتقاله؛ لتحميله مسؤوليّة المشاركة في التخطيط والتنفيذ لسلسلة من التفجيرات التي حصلت في باريس بين عامي 1985م- 1986م.

- **القيادة العسكريّة**

تميّز الشهيد القائد بتفوّقه في التخطيط العسكريّ والاستراتيجيّ وحسّه الأمنيّ، فكان من أبرز القادة العسكريّين في حزب الله منذ تأسيسه. في العشرين من عمره، شارك بالقيادة، منطلقاً من قدراته الذاتية الاستثنائيّة، وإبداعاته المبتكرة وجامعاً بين الجانبين العسكري والروحي في توجيهاته

وممارساته العملياتية. وفي مطلع التسعينيات، تولى مسؤولية التدريب المركزي في حزب الله، وأرسى قواعد خلّاقة في إعداد وتطوير القدرات البشرية في تشكيلات المجاهدين.

تسلم مسؤولية الأركان في حزب الله في منتصف التسعينيات، وابتداءً من العام 1997م، بات مسؤولاً عن وحدة عمليات جبل عامل، وقاد ميدانياً وبشكلٍ مباشر العديد من العمليات النوعية.

- **اغتيالات ونجاة**

في الرابع من فبراير من العام 2000م، أي قبل تحرير جنوب لبنان

بأشهر قليلة، حاول العدو الإسرائيليّ اغتياله بإطلاق صواريخ أيه جي إم-114 هيلفاير عبر مروحيات أباتشي AH-64 على سيارته التي كان يقودها في جنوب لبنان، لكنّه تمكن من القفز منها، وبذلك فشلت عملية الاغتيال رغم استهدافه بصاروخ آخر بعد قفزه. وقد صرَّح رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية مؤخراً، بأنّ عقيل قد نجا من عملية اغتيال أخرى، ولكنه لم يذكر تفاصيلها.

خلال حرب تموز 2006م، كان من القادة الذين تولوا مهام التصدي للعدوان الإسرائيلي على عدّة أصعدة. وكان عضواً في المجلس الجهادي لحزب الله، وابتداءً من العام 2008م، شغل موقع معاون الأمين العام لشؤون العمليّات.

- **مؤسّس قوّة الرضوان**

أسّس الشهيد القائد عقيل ركن العمليّات في المقاومة الإسلاميّة، كما أسّس أيضاً قوّة الرضوان، وتولى قيادتها، وهي القوّة النخبويّة التي تشكّلت على أسس عقديّة وإيمانيّة قويّة، إضافة إلى تدريبها العالي في المهارات القتالية، وقد طوَّرها بشكل مباشر، لتصبح قوّة متميّزة في صفوف المقاومة

أدرك الشهيد القائد أنّ تهيئة ظروف دولة الظهور مرتبط بالفرد والجماعة، وذلك يقتضي بناء قوّة استثنائية يجتمع فيها قطبان رئيسيّان: القوّة الروحيّة والإيمانيّة العاليّة والقدرة القتاليّة النخبويّة، ولم يغفل عن أن دون ذلك جهد وسهر وتعب، فما كان منه إلّا أن ثابر وراكم الجهد والعمل المضني لتحقيق هذه الغاية، إلى أن وصل إلى أكثر مما كان يصبو

إليه، مسدداً من الله تعالى. ونقلاً عن لسانه: «إنّ مجموعةً من الأفراد تكفي لتغيير أمّة، مثلاً الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، قيصر، نابليون، وغيرهم»، هؤلاء بغض النظر إذا كنا نتّفق مع أداء بعضهم أم لا، كانوا من الذين اجترحوا مساراتٍ جديدةً وصنعوا منعطفاتٍ تاريخيّةً بالاستناد إلى الهمّة الخاصّة الموجودة في قرارة أنفسهم.

انطلاقاً من تلك الغاية، أسّس الحاج عبد القادر قوّة الرضوان التي تخوض الجهادين الأصغر والأكبر؛ لتكون الفئة الممهّدة للظهور والتي ستقاتل تحت راية الإمام الحجة عجل الله فرجه.

- **والد المجاهدين الحنون**

وفي سبيل ذلك وهب الحاج عبد القادر سنيّ عمره الأخيرة، للوصول إلى هذه الثلة التي تمثّل المصداق الحقيقي والمتكامل للإسلام الرسالي. فلا عجب أنّ الحاج كان يعامل عناصر قوة الرضوان بأبوة مطلقة، ومما يثبت ذلك، ما حصل بعد تلقي المجاهدين خبر استشهاده، حيث كان الإخوان جميعًا يرددون العبارة ذاتها: «اسْتَشْهَد بَيْنَا الحنون».

استنادًا الى كلام عدد من الإخوة المرتبطين بالعمل معه: «دائماً ما كان يقول لنا: أراكم أكثر من أولادي»، وأردف أحدهم: «هذه العبارة الوجيزة إنما تعكس مدى حقيقة العلاقة الأبوية مع القائد الأب، وتكفي لاختصار مدى الاهتمام والحرص البالغ لرجل حَمَل مشروعاً طَمُوحاً يحاكي حُلم الأمة الذي راودها طوال ٧٦ عاماً. نعم، هو العقل المدبر ومؤسس المشروع الحقيقي الأول من نوعه في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي لتحرير الجليل وفلسطين».

وأضاف: «هكذا كان معنا يحرص مع فارق المستوى الرُتْبي بيننا وبينه، على أن يستمع ويصغي إلى كل واحد منا ويعتني بأدق التفاصيل ويجيب حتى عن أبسط الأسئلة في جلسات تمتد إلى ساعات، ولا أعتقد أن هذا الاهتمام والتفاني الذي كان يبذله من روحه وعمره وفكره كان لمجرد بناء قوة خاصة وحَسْب، وإنما الغرض الذي كان يرمي إليه هو أن يصنع من هذه القوة رجالاً ربانيين رساليين ستقع على عاتقهم قيادة مسيرة التحولات الكبرى إلى عالم جديد». يضيف: «هكذا كان يزرع بذور القيادة ويغرس فينا الإيمان بالذات، وجذوراً من الثقة بأننا نستطيع، وكان يردده على مسامعنا: إني أقوم بهذا الدور اليوم بتأدية هذه الرسالة، وبعدها أنتم من سيحمل الراية ويُكمل الطريق».

"إنّا على العهد يا والدي"

لقاء مع عائلة الشهيد القائد علي كركي

هيئة التحرير

ترابيّ عتيق من أرض عامل، نهل من خصالها ما استعان به على صلف الحياة، وطوّع كينونته على حبّ الأرض، وما استلزمه هذا الحبّ من دفاع عن الشرف والعزّة والكرامة، حتّى بات اسمه مقترناً بملاحم الجهاد والإباء منذ الطلقة الأولى.

لا يكاد يُذكر اسمه في محضر من عرفه وعرف أخلاقه حتّى تلهج ألسنة العجائز بالدعاء له كعربون حبّ لمن أمضى عمره متنقّلاً بين ثنايا الجنوب وفي فيء زيتونه. هو ابن بلدة عين بوسوار الجنوبيّة، القائد الجهاديّ الكبير الشهيد علي عبد المنعم كركي، الذي حدّثتنا عائلته عن مسيرته العابقة بالعطاء والجهد والإنجازات.

- **كثيرون من يعرفونه بـ "الحاج أبي الفضل"، من هو القائد علي كركيّ؟ وكيف كانت بداياته؟**

بدايةً، ولد الشهيد القائد الحاج علي كركي في العاشر من أيّار من عام 1962م في منطقة المصيطبة، وهو حاصل على شهادة الإجازة الجامعيّة.

كان محبّاً للعلم والثقافة، وملتزماً بدينه، ومحافظاً على صلاته، وحريصاً على المشاركة في النشاطات الاجتماعيّة والكشفيّة والرياضيّة. أسّس القائد الشهيد ومعه الشهيد الشيخ نبيل قاووق والحاج وفيق صفا، فوج مصعب بن عمير الكشفيّ، كما كان له الفضل بتأسيس ما يُعرف اليوم بنادي العهد الرياضيّ، والذي سُمّي حينها باسم "نجمة العهد الجديد".

بالتوازي، شهدت فترة شباب القائد الشهيد كركي العديد من الأحداث التي غيّرت الواقع في لبنان، ومنها قيام الإمام المغيّب السيّد موسى الصدر بتأسيس حركة المحرومين عام 1974م، فسارع الحاج الشهيد مع جمع من إخوانه أبناء الرعيل الأوّل، كالقائد الجهاديّ الكبير الشهيد الحاج عماد مغنية والشهيد القائد السيّد مصطفى بدر الدين، للانضمام إليها.

عام 1982م، وأثناء التصدّي للاجتياح الإسرائيليّ في معركة خلدة البطوليّة، أصيب الحاج علي كركي إصابة بالغة، فكانت أوّل وسام شرف نُقش على جسده الطاهر.

ومع تمادي العدوّ الصهيونيّ في الجنوب اللبنانيّ، انتقل الشهيد إلى العمل في القرى الجنوبيّة، حيث كُلّف حينها من قيادة حزب الله، الذي كان حديث النشأة في تلك الفترة، بتشكيل مجموعات جهاديّة واستشهاديّة وتدريبها وتسليحها، لتبدأ مرحلة جديدة من مقارعة الاحتلال، ومن أولى تباشيرها تفجير مقرّ الحاكم العسكريّ في منطقة صور عام 1982م، التي خطّط لها الشهيدان القائدان مغنيّة وكركي، ونفّذها الاستشهاديّ أحمد قصير.

- **ما أبرز المحطّات الجهاديّة للشهيد القائد؟ وما كانت مسؤوليّته؟**

عُيّن الشهيد كركي منذ عام 1992م قائداً عسكريّاً مركزياً في حزب الله، وكان لقيادته بصمة في تحرير القرى المحتلّة عام 2000م، ثمّ عيِّن مسؤولاً للقوة الجوية، وكان حاضراً في المواقع القياديّة في إدارة الجبهات في عام 1996م وعام 2006م.

أمّا في الحرب الكونيّة على سوريا، فقد شارك الشهيد كركي في كلّ المعارك تقريباً من حيث التخطيط والإشراف، فكانت بصماته واضحة في مواجهات القصير، والزبداني، والقلمون، ودمشق وريفها، والبادية، وتدمر، والبوكمال، فيما برز دوره في حلب وريفها كقائد لمقرّ سيّد الشهداء عليه السلام، إلى جانب قائد فيلق القدس الشهيد الحاج قاسم سليماني، حيث أثمر جهادهم نصراً على الجماعات الإرهابيّة المدعومة من قوى الاستكبار العالميّ، وتحريراً للمنطقة.

في الحرب الكونيّة على سوريا، شارك الشهيد في كلّ المعارك تقريباً من حيث التخطيط والإشراف

- **ما الجهود التي بذلها القائد في معركة طوفان الأقصى، والتي استشهد في سبيلها؟**

مع انطلاقة معركة طوفان الأقصى واتّخاذ القرار بفتح جبهة الإسناد لغزة، تصدّى القائد كركي للمهمّة، فقاد العمليّات بعزم وثبات. ورغم اشتداد القصف وتعذّر الحركة، إضافة إلى تعرّضه لمحاولات اغتيال عدّة، لم يترك الجنوب، وحرص على قيادة وحدات مقرّ سيّد الشهداء عليه السلام.

وبعد استشهاد عزيزيه القائدين الحاج «أبو طالب» و«أبو نعمة»، ورغم الأثر الكبير الذي تركه هذا الفقد في نفسه، إلّا أنّه لم يهن ولم يلن، بل بقي جبلاً صلباً كعادته، فأكمل الطريق مع باقي إخوانه في معركة الإسناد.

ومع اشتداد المعارك وكثرة الاغتيالات، انتقل الشهيد علي كركي إلى بيروت ليتابع عمله واصلاً ليله بنهاره، حريصاً على الإعداد والتجهيز والتخطيط والتنسيق لأيّ

تطوّر في المعركة. وهذا ما حصل، ففي صبيحة الثالث والعشرين من أيلول، أعلن العدوّ الصهيونيّ عن بدء عدوانه الغاشم على لبنان تحت عنوان معركة «السيوف الحديديّة»، وتوالت الغارات على البقاع وتوسّعت في الجنوب لتدفع بالعوائل والأهالي إلى النزوح. ومع اقتراب ساعات المغيب، تعرّض القائد الشهيد لمحاولة اغتيال في أحد أحياء الضاحية الجنوبيّة، لكنّها باءت بالفشل.

كان للشهيد أبو الفضل علاقة حبّ خاصّة للمساجد، فلطالما تردّد إليه

كان الشهيد حريصاً جدّاً على رضى والديه ومراعاتهما في كلّ ما يقوم به

وفي السابع والعشرين من الشهر نفسه، صبّت طائرات الغدر الصهيونيّة مجدّداً جام حقدها، مستهدفة مكان تواجد الأمين العام لحزب الله سماحة السيّد حسن نصر الله خلال اجتماعه بعدد من الشخصيّات ومنهم القائد الحاج علي كركي، بأكثر من ألفي طنّ من المتفجّرات الخارقة للتحصينات ما أدّى إلى استشهادهم جميعاً.

ارتقى إلى جانب "الحبيب" كما يسمّيه، رفيق دربه وعزيز روحه الشهيد الأسمى السيّد حسن نصر الله، ملاقياً ربّه مخضّباً بدمه، ناصراً للحقّ، مقارعاً للباطل، فقد أحبّ فلسطين كثيراً، وحلم بالصلاة في المسجد الأقصى، وها هو قد مضى شهيداً على طريق القدس.

- **كثيراً ما بنى القادة علاقتهم بالميدان من خلال المسجد، كيف لاحظتم أثره في حياة الشهيد؟**

كان للشهيد «أبو الفضل» علاقة حبّ خاصّة بالمساجد، فلطالما تردّد إليها وبذل جهده لتأمين الأموال لإعمارها، خاصّة في قرى الجنوب، فأشرف على بناء مسجد الإمام الحسين عليه السلام في قريته عين بوسوار، وإعادة إعمار مقام النبيّ صافي، لترتفع هذه الأماكن بصوته ودعواته، وتظلّ حيّةً شاهدةً على عطائه.

كان يحرص كذلك على السكن بالقرب من المساجد حتّى يكون جاراً لها، فيقيم صلاته فيها. لذا، كان يصطحب أبناءه منذ الصغر إلى المسجد بالرغم من حساسيّة وضعه الأمنيّ.

لم يكن الشهيد أبو الفضل يرى في المسجد مكاناً للصلاة فحسب، بل كان يعدّه ركناً في حياة الإنسان. وكان أيضاً يعتكف فيه في كلّ عام في شهر رمضان، ولم ينقطع عنه إلى حين استشهاده. وفي كلّ مرّة كان يدخل مسجداً، كان يصلّي ركعتين تحيّة له.

- **العمل يرافقه الغياب، كيف كان له الحضور النوعيّ في العائلة الذي يعوّض الغياب؟ وكيف كانت توصياته وتوجيهاته ومتابعته لشؤون العائلة؟**

كان الشهيد يغيب كثيراً عن البيت، فكنّا دائماً ما ندعو له بالحفظ، إلّا

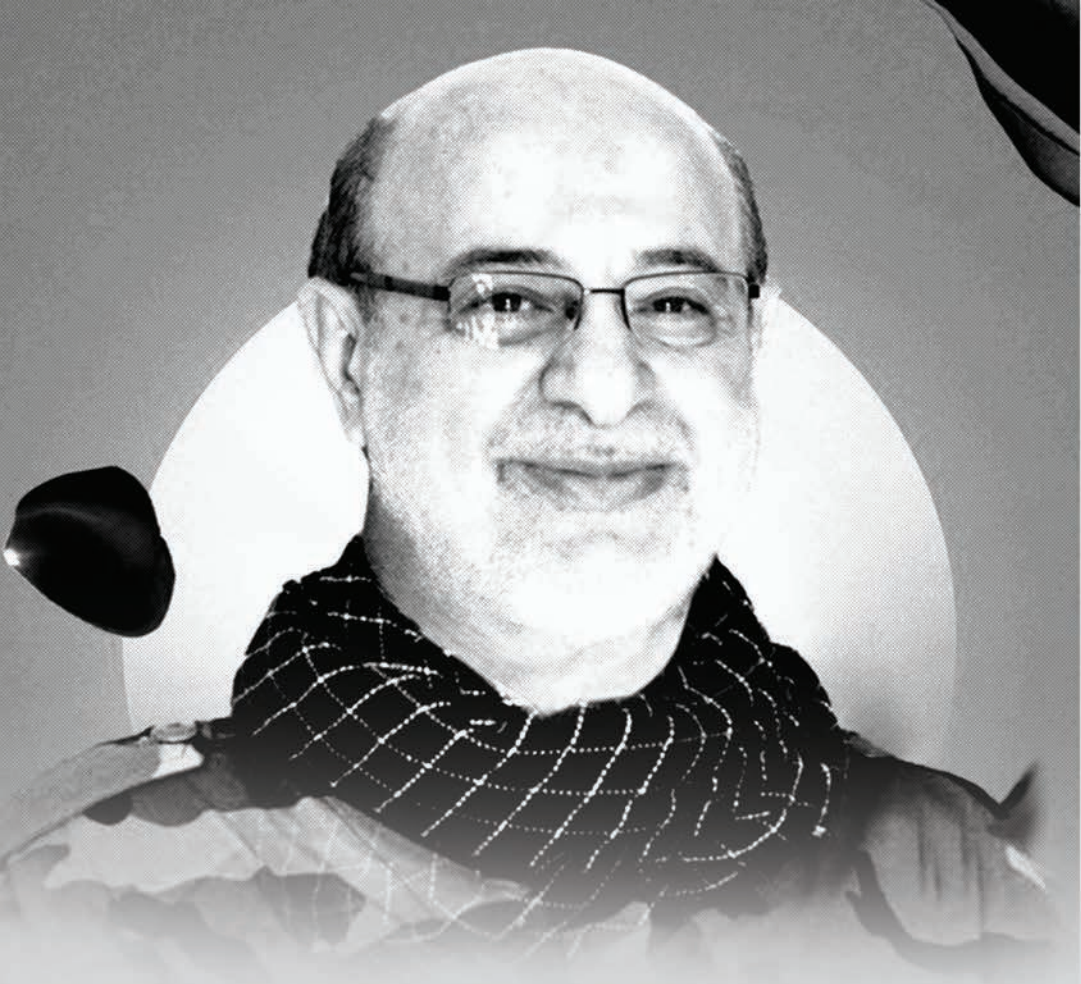

أنّ قلبه لم يغب يوماً عنّا. كان شديد الحرص على التواصل اليوميّ بأفراد الأسرة، يتابع أخبارهم وأحوالهم. كان كثير النصيحة بالصلاة في أوّل وقتها، والصيام، والمحبّة والمساندة، وهذا ما أوصانا به أيضاً يوم شهادته. أمّا وصيّته الأخيرة، فقد كانت تفوح إيماناً، إذ دعا إلى الاهتمام بزيارة عاشوراء وقراءة دعاء علقمة بعدها.

إضافة إلى ذلك، كان يذكّرنا بالمناسبات الدينيّة، إذ كان يُوقظنا بيديه الحنونتين لصلاة الفجر، ويحثّنا على القيام بمستحبّات اليوم المذكور.

ومن بين عادات الشهيد التي لا تُنسى، حبّه لقراءة الدعاء والقيام بالمستحبّات مع عائلته، ففي ليالي الجمعة مثلاً، كان يوكل أحدنا بقراءة دعاء كميل، وفي ليالي الأربعاء نقرأ معاً دعاء التوسّل.

كان الشهيد حريصاً جدّاً على رضى والديه ومراعاتهما في كلّ ما يقوم

صبه. وكان يحاول أن يزورهما كلّ أسبوع بالرغم من مشاغله الكثيرة. كما كان يسأل عن إخوته جميعاً وأولادهم وعن جميع أقاربه، ولا يردّ صاحب حاجة خائباً.

كان يعشق الأطفال ولا يرضى أن تُساء معاملتهم، بل كان حريصاً على إسعادهم وإعطائهم ما يحبّون، خصوصاً أحفاده الذين كان يحبّهم كثيراً، وهم أيضاً كانوا يعشقونه ويحبّون وجوده بينهم، وكانوا يتنافسون للسلام عليه واللعب معه وإطلاعه على ما يقومون به، وهو كان يستمع إليهم بكلّ سعة صدر.

- **أخبرنا بعض الإخوة أنّ له علاقة مميّزة بالقرآن الكريم، هلّا حدّثتمونا عن ذلك؟**

بدأ الشهيد منذ صغره بقراءة القرآن بشكلٍ يوميّ حتّى صار يستأنس بها. كان يدعونا إلى حفظ أجزاء منه ويعدنا بالهدايا والجوائز مقابل ذلك.

أمّا بالنسبة إلى حفظه القرآن، فلم يعطنا الشهيد جواباً صريحاً، فكلّما سألناه عن حفظه القرآن كاملاً تبسّم ولم يجب. نحن نعتقد أنّه كان حافظاً للقرآن، فلست أذكر يوماً أنّ ثمّة آية قرآنيّة ذُكرت ولم يكملها مع معرفته من أيّ سورة وجزء هي وشرحها. وكنّا نعرف أنّه عاد إلى البيت في آخر الليل من صوت ترتيله وتلاوته. وكان يختم القرآن مرّة كلّ ثلاثة أيّام في شهر رمضان.

- **ما السمات الأخرى التي تميّزت بها شخصيّة الشهيد؟**

كان الشهيد أبو الفضل قدوة في التواضع والإيمان، عزيز النفس، سهل المعاشرة، صلباً في الحقّ، لا تلهيه الدنيا بمالٍ أو بنين عن واجبه وعمله. كان الجبل الذي نتّكئ عليه.

كان الشهيد يهتمّ بأداء المستحبّات، فيقوم للصلاة المستحبّة في أوقات متعدّدة من النهار، وكان كثير الصيام في معظم أيّام السنة، ودائم الوضوء في معظم وقته، وكثير الذكر لله، وكان حافظاً لمعظم الأدعية والأذكار الدينيّة المستحبّة، لا ينام في ليله، بل يقضيه قائماً يُصلّي صلاة الليل.

- **كيف كان الشهيد يتعاطى مع الضغوطات من حوله؟**

كان خفيف الظلّ لا يحبّ أن يربك بوجوده أحداً. كان قنوعاً لا يحبّ التكلّف ويرضى بأقلّ قدر ممكن من أيّ شيء في هذه الدنيا، من مأكل ومشرب وملبس.

دائم الحمد والشكر لله، لا يشتكي من أيّ أمر، حتّى عندما كنّا نسأله عن حاله حين المرض الشديد، يقول: «أنا جيّد جدّاً، ليس بي شيء». كان لا يشكو لأحد من أيّ ألم أو تعب. حتّى عندما كان في بعض الليالي لا يأخذ قسطه الوافر من النوم، تجده يحاول أن يراعي الموجودين ولا يُشعرهم بتعبه.

- **هل من كلمة أخيرة بحقّ هذا القائد الجهاديّ الكبير؟**

برغم حزننا، فإنّ فخرنا بجهاده وعطائه وشهادته في سبيل الله، أكثر ما يواسينا. ما رأينا إلّا جميلاً، لقد كان الحنان والدفء من هذا العالم، الذي سنظلّ نشتاقه حتّى نلقاه مجدّداً، سنحنّ لرؤية أثره في المنزل.

كان عند شهادة أصحابه يقول: «أحبب من شئت فإنّك مفارق». ونحن نقتدي بهذه المدرسة المحمّديّة الفاطميّة الكربلائيّة الزينبيّة التي يمتثل بها كلّ الشهداء وأهلهم.

لقد أوصانا أن لا نترك هذا الدرب ولا نحيد عن الخطّ، ونحن نقول له: «إنّا على العهد يا والدي».

رحلة إخلاص تكلّلت بالشهادة

شذرات من حياة الشهيد القائد السيد سهيل الحسينيّ (السيّد أحمد)

هيئة التحرير

كان فتىً تعبويّاً، وصار مجاهداً تدرّج بالمسؤوليّات، حتّى جمعه لقاءٌ بالحاجّ عماد مغنيّة، استحوذ خلاله على إعجابه بعد أن لفتت شخصيّة السيّد نظر الحاج ووجد فيه صفاتٍ مميّزة، فأحبّ أن يكون مقرّباً منه في العمل، وهكذا وصل إلى هذه المسؤوليّة الرفيعة المستوى. ومن خلال الحاجّ عماد أيضاً، تعرّف بسماحة السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليه) الذي رأى فيه مواصفاتٍ تميّزه، لذلك أولاه مهامٍ خاصّة ومسؤوليّاتٍ عدّة. إنّه الشهيد القائد السيّد سهيل الحسينيّ (السيّد أحمد) الذي تُطلعنا زوجته السيدة هنا الخليل على بعض خفايا شخصيّته وحياته.

• الكتمان إخلاصٌ للعمل

من الناحية الأمنيّة، لم يكن أولاد السيّد أحمد على علم بأنّ والدهم لديه مسؤوليّة مهمّة في المقاومة. كان هذا نمط الحياة الذي درّبني عليه، وأنا بدوري درّبت أولادي عليه. لدرجة أنّ أولاده لم يعرفوا طبيعة عمله لحين صدور التقرير الإسرائيليّ حوله.

كان يتهرّب من البوح بأيّ معلومةٍ تخصّ عمله

بسبب عدم حديث السيّد عن تفاصيل عمله ومسؤوليّاته، فقد نجح في كتمان السرّ والحفاظ على الخصوصيّة داخل المنزل. كلّ ذلك كان سرّ الحفاظ على حياتنا وحياته طيلة تلك السنوات.

وهذا هو سبب عدم معرفة الناس بالسيّد أحمد أكان بالاسم أو بالشكل، ما شكّل مفاجأة للجميع أنّه هو مسؤول أو قائد. جلّ أفراد العائلة حتّى المقرّبون وأنا من بينهم جهلنا طبيعة عمله. واليوم ما عرفناه وصلنا من الغرباء لا من السيّد.

حتّى في الجلسات العائليّة، كان يتهرّب من البوح بأيّ معلومةٍ تخصّ عمله مهما كانت بسيطة. وقد تعمّد في الفترة الأولى لزواجنا إشاعة أنّه يعمل في مؤسّسة الشهيد، فهذا الجواب كان يساعده في تجنّب الوقوع في العديد من الإشكاليّات. ولاحقاً، احترم الجميع خصوصيّة السيّد وكتمانه بعدم طرح أسئلة كهذه مجدّداً، إذ ظهر جليّاً أنّه لا يحبّ الخوض في هذه التفاصيل.

• الذوبان في العمل

إخلاص السيّد كان الطابع الأسمى والأبرز في شخصيّته. تفانيه في أدائه عمله كان ملفتاً للغاية، فهو لم ينظر إلى مسؤوليّته في حزب الله على أنّها وظيفة لها دوام معيّن أو جهد محدّد، بل كان يعتبر أنّ كلّ وقت لم يكرّس لخدمة هذا النهج هو وقتٌ ضائع، دون الاكتراث لاحتياجاته الشخصيّة، حتّى أثّر ذلك في الوقت الذي كان يمنحه لعائلته. فعمله في حزب الله يمثّل كلّ شيء بالنسبة إليه في هذه الحياة لأنّه مرتبط بصاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، وهو ما سيقرّبه من الله سبحانه وتعالى.

• في العمل لا محاباة

لم يلتفت السيّد أحمد إلى أيّ اعتبارات شخصيّة أو خاصّة في العمل،

قال علي الأكبر (ع):
يا أبتَ، ألسنا على الحق؟
قال الامام الحسين (ع):
بلى والله...
فقال علي الأكبر (ع):
إذاً لا نبالي، أوقعنا على الموت، أو وقع الموت علينا...

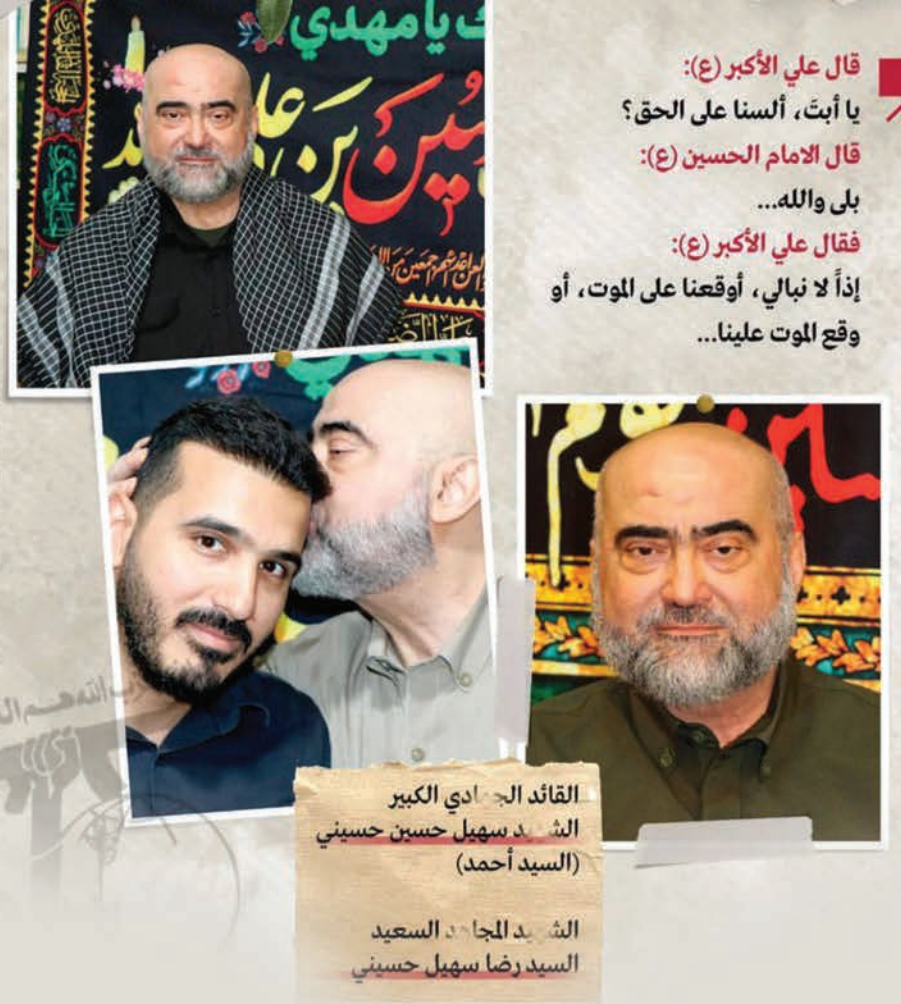

بل كان يعطي كلّ ذي حقٍّ حقّه دون مراعاة أيّ قرابةٍ أو معرفة خارج نطاق العمل. واشتُهر بعدم مداراته لأحدٍ على حساب مصلحة العمل.

كما أنّ العديد من خواصّ الأقارب طلبوا عبرنا مساعدة السيّد لأبنائهم في موضوع العمل، لأنّه لم يكن يحمل هاتفاً بتاتاً، فكنت أسمع منه دائماً جوابه الوحيد: "إن ساعدتهم لأنّهم أقربائي، فمن سيساعد باقي الأفراد ممّن يمتلكون الكفاءة والخبرات العلميّة والعمليّة اللازمة؟". وكان يحرص على أن يكون بريء الذمّة في الصلاحيّات المخوّل بها.

فمن عرف صدق السيّد أحمد ودأبه على نبذ المداراة في العمل، كان يقدّر موقفه ويحبّه لهذه الصفات. والمعروف عنه أيضاً أنّه رغم حساسيّة موقعه، لم يستفد من علاقاته أو يوظّفها مطلقاً لمآرب شخصيّة، كتحسين

وضعه الماديّ أو افتتاحه لتجارةٍ ما. أمّا إعراضه عن استغلال موقعه في العمل فلأنّه توجّه دنيويّ، وهو ما ينفر منه ولا يقبله، وكان يعدّه تصرّفاً غير مبررٍ للذمّة. كما أنّ زهده انعكس على مظاهر حياته كأثاث منزلنا البسيط والمتواضع، رغم أنّ التوسعة في بعض المواطن جائزة ومتاحة، إلّا أنّه كان يتشدّد في مراقبة نفسه.

دائماً ما كان يستغلّ حضوره في المنزل ليؤهّل الأولاد

- **يحضر أغراض المنزل بنفسه أحياناً**

حنوّ السيّد وكرم نفسه صفتان ملازمتان له؛ فقد كان سخيّاً في كلّ شيء، حتّى في إحضاره احتياجات المنزل. دائماً ما كنت أطالبه بالحدّ من الكمّ والنوع لأنّ عائلتنا صغيرة. رغم ندرة خروجه بين الناس تحديداً يوم الأحد، إلّا أنّه يتعمّد إحضار ما تشتهيه نفس كلّ فردٍ من العائلة المكوّنة من ثلاثة أبناء وابنةٍ دون تردّدٍ أو تقصير.

- **أبٌ حاضر ولو كان غائباً**

غياب السيّد فرض ضغطًا كبيراً عليّ في تحمّل مسؤوليّة تربية الأولاد، تحديداً بعد استشهاد الحاجّ عماد مغنيّة إذ تضاعفت مهامه. كما أنّ حساسيّة عمله فرضت علينا قيوداً كثيرة، فالأماكن التي زرناها كانت نادرة، كذلك النزهات. أمّا الزيارات العائليّة فكانت محدودة. وضعه الصحيّ لم يكن مساعداً، فكان حضوره في المنزل بهدف الراحة الجسديّة من مرضه فقط. لكن مؤخّراً، حين توفّر المساعدون تحسّن الوضع. نتيجةً لذلك، تحمّل الأولاد معنا وضعاً ضاغطاً، فقد حُرمنا رحلات الترفيه معه وما شابه ذلك. غير أنّ المميّز في ظلّ هذه الظروف، أنّه دائماً ما كان يستغلّ حضوره في المنزل ليؤهّل الأولاد ويربّيهم على التعاليم الدينيّة الأصيلة، مستعيناً بثقافة حصّلها من دراسته الحوزويّة، وهم بدورهم عشقوا محاضراته العقائديّة، وتطرّقه لمختلف الجوانب الحياتيّة وإحاطته بها ليستفيدوا دائماً.

لقد ترك في نفسي أثراً بالغاً، خاصّة حول هدف حياة الإنسان ووجوده، وكيف يجب أن يسخّر نفسه لرضى الله كي يتخطّى بلاءات الدنيا ويفوز بالآخرة. تعلّمت منه أيضاً كيف تهون مصائب الدنيا لقد كان مؤثراً جدّاً في هذا المجال. لقد قدّس خصوصيّة العائلة بشكلٍ كبير، وشدّد دائماً على الكتمان، تحديداً في ما يخصّ الخصوصيّات العائليّة أو المشاكل التي تعايشها كلّ العائلات.

• ينبذ الاستهلاك الترفيهيّ

حدّد السيّد ضوابط تربويّة. لم يُحرم أبناؤنا من شيء في طفولتهم، فكلّ ما كان في أيدي غيرهم من منتجات عالميّة كان لديهم منه بديلاً محليّاً، وقد تربّوا على العيش بمقدار الحاجة. فالهاتف مثلاً، يحصل عليه أحدهم بحسب حاجته الجديّة له، حتّى أنّ الإنترنت لم يتوفّر في المنزل إلّا عندما دعت الحاجة إليه للتعلّم عن بُعد في زمن الكورونا، وكلّ ذلك من باب الحرص عليهم. صحيح أنّ هذا الأمر كان مزعجاً لهم بدايةً، لكنّهم سرعان ما أدركوا أهميّة هكذا إجراءات.

وقد ربّى أبناءه على التواضع بعيداً عن التبضّع من المحال ذات الماركات التجاريّة العالميّة.

• مخازن "المرتضى" وبطاقة "السجّاد"

خصّص ساعة للقراءة يوميّاً على الأقلّ متحدّياً ضغط عمله

في بداية الأزمة الاقتصاديّة، أحسّ السيّد بضرورة إنشاء مشروع يخفّف الضغط الاقتصاديّ عن الناس، فكان الدعم الأساسي في تنفيذ مشروع "المرتضى" وبطاقة "السجّاد" في فترة زمانيّة قياسيّة، من تأمين البضائع، إلى تصدير البطاقات للناس، وضبط كيفيّة استعمالها. وقد بذل جهداً كبيراً من وقته وصحّته للتفكير في تفاصيله. كان جلّ همّه كيف يستطيع تخفيف العبء عن الناس. ودائماً ما يسألني بصفتي ربّة منزل عن أيّ شيء يمكن أن نضيفه ويمثل ضرورةً للمنازل؛ من أجل خدمة المجتمع بشكلٍ أفضل، وذلك لأنّ طبيعة المشروع سمحت له بإطلاعي عليه لأتمكّن من إعطائه تغذية راجعة فقط، وهو المشروع الوحيد الذي عرفته من عمله لهذا السبب.

وقد بذل كلّ طاقاته كي تشمل بطاقة "السجّاد" الخدمة الدوائيّة. ومع أنّ بعضهم عدّ هذه الخطوة مخاطرة، إلّا أنّه أصرّ على متابعة الأمر بنفسه

كان دائماً يتابع نسبة الاستفادة من هذا المشروع، ومدى تغطيته لأكبر شريحة من المجتمع، وما إذا كان سيستطيع الناس الوصول إلى المراكز التجاريّة، ومدى استفادتهم من البطاقات الموجودة.

• المطالعة هوايته

كانت هوايته المفضّلة القراءة، فمنذ صغره كان يقرأ مجلّة العربيّ، وهو سريع القراءة ولديه مخزون ثقافيّ كبير. وكان السيّد قبل التزامه بالعمل الأمنيّ يحضر في كلّ معارض الكتاب.

أحبّ قراءة الكتب الدينيّة والفلسفيّة، فهو حائز على ماجستير باختصاص الفلسفة، بالإضافة إلى كتب السيرة والكتب المتنوّعة. وقد خصّص ساعة للقراءة يوميّاً على الأقلّ متحدّياً ضغط عمله. في حرب تمّوز، كان لديه مكتبة كبيرة، وكان يخشى أن يخسرها. أذكر عندما وجد في نفسه تعلّقاً بها أنّه قال: "يجب أن أزيل هذا التعلّق من نفسي، فهو نقطة ضعف تربط بالدنيا". وكان من قرّاء مجلّة بقيّة الله لما لها من فوائد متنوّعة

ومواضيع شيّقة. كما أنّه نظّم برنامجاً لقراءة القرآن، ولديه بعض الإلمام بالتفسير إذ كنت أستعين به لتفسير بعض الآيات، كما كان يشجّع أطفاله

على المواظبة على قراءة القرآن، أمّا عن برنامجه العبادي فقد لاحظت أنّه وضع برنامجاً مميزاً ما جعلني أشعر بأنّه اقترب من الشهادة.

• مهذّب نفسه

جاهد نفسه لتغيير أيّ صفة شخصيّة قد تزعج الآخرين، وخصوصاً في

العام الأخير من حياته، وكان هذا الاختلاف واضحاً، فهو على مستوى عالٍ من الأخلاق. سألني ابني مرّة: «هل والدي يغضب؟»، كان الأولاد يستغربون كيف أنّه لا يغضب ولا يصرخ، وأنّه كثير الصبر، وقد ظهر ذلك جليّاً في آخر أيّام حياته.

كان حريصاً على عدم أذيّة أحد، وكان يتحلّى بالجرأة للاعتذار من أيّ شخص اشتبه بأنّه أساء إليه.

• مصلحة العمل أكبر منّي

رغم أنّ السيّد صاحب شخصيّة حاسمة وعزيز النفس، فقد كان يتخطّى أيّ أمر شخصيّ في سبيل مصلحة العمل. أخبرني سابقاً أنّه يقتدي بالشهيد الحاجّ عماد في أنّ على الإنسان أن يتجاوز الأمور الشخصيّة في سبيل مصلحة العمل لحزب الله، والذي يعني التمهيد للإمام ﷺ، وهذه كانت أولويته، وقد استغرق فيه حتّى في أوقات راحته. عندما أجده شارد الذهن، كنت أعلم أنّه يفكر كعادته إمّا في إيجاد حلولٍ لمشاكل العمل أو لتطويره.

• الشهادة

منذ بداية الحرب، مكثنا نحن عائلته في مكان يعرفه، بينما توجّه هو إلى مكان ما ليتابع عمله. بعد مرور أيّام عدّة، طلب منّي مجموعة أغراض من المنزل فالتقينا هناك، ولكنّني لم أشعر حينها أنّه سيكون اللقاء الأخير بيننا! وعندما غادر أخبرني أنّه لا وسيلة مباشرة للتواصل بيننا حالياً، وقد سكنت الحسرة نفسي لأنّ ابنتي فاطمة لم تحظَ بفرصة لوداعه.

ثمّة أمر مهمّ وهو أنّ السيّد لم يكن يتردّد سابقاً إلى المكان الذي استشهد فيه لأسباب أمنيّة، ولشدّة كتمانه لم أكن على علمٍ بمكوثه هناك. وعندما شُنّت الغارة حيث استشهد فيه وابنه السيّد رضا وزوجته، تواصل الإخوة المعنيون معي لمعرفة ما إذا كان في ذلك المكان، فلم أستطع تحديد ذلك، ولم أعرف بشهادته حتّى صباح اليوم التالي.

لقد عشق السيّد أحمد سماحة السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليهما) بشكلٍ لا يوصف، وها هو قد التحق به وبرفقته فلذة كبده الذي لازمه حتّى رحلا معاً إلى الملكوت الأعلى.

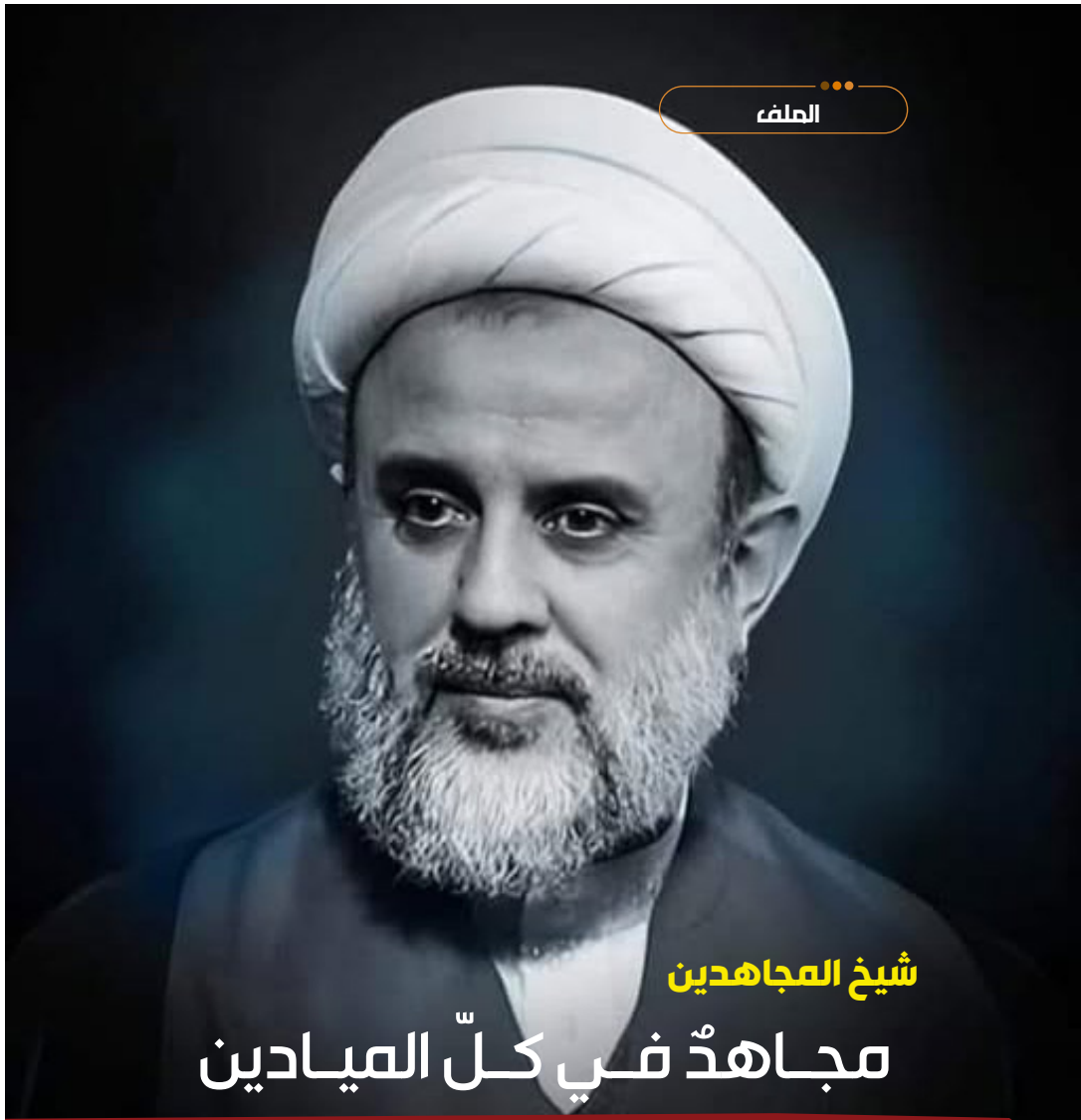

شيخ المجاهدين

مجاهدٌ في كلّ الميادين

من حياة سماحة الشيخ الشهيد نبيل قاووق

حوار مع عائلته

في تلك الليلة التي تاهت فيها القلوب، ما إن حلّ السحر حتّى مدّ سجّادة صلاته، وحمل المصحف الشريف، وقام يتلو آياته. أقام صلاته مشرق القلب والوجه بإشراقة الشهادة التي تنبّأ بها لنفسه، فلاقاها بعد سويعات قليلة .

إنّه سماحة الشيخ الشهيد نبيل قاووق الذي نطلّ في هذا المقال على نبذة من حياته الشريفة التي كرّسها خدمةً لهذا النهج المقاوم من خلال ما زوّدتنا به عائلته الكريمة وأبناؤه.

كان حاضراً في كلّ محطّات المقاومة الأساسيَّة

• الطفولة

ولد الشيخ الشهيد في بلدة الصبّار والزيتون والجهاد، عبّا -جارة قرية الشيخ راغب حرب- لوالدٍ كادحٍ شجاع عالي الهمّة وأمٍّ صبورة، ونشأ في منطقة المصيطبة من بيروت، حيث أتمّ دراسته، وكان من الشباب الملتزمين بالحضور في المسجد وحلقات الدرس، إلى أن التحق مع رفيق دربه الشهيد السيّد هاشم صفي الدين بالمعهد الشرعيّ الإسلامي.

• الدراسة الحوزويّة

تأثَّر الشيخ الشهيد في شبابه بالإمام الخمينيّ (قدّه) وبالسيِّد الشهيد محمّد باقر الصدر قدس سره. وفي عام 1981م، قرَّر الذهاب إلى طلب العلم في قم المقدَّسة حيث بقي هناك 10 سنوات، تتلمذ خلالها على أيدي مجموعة من العلماء والفقهاء أمثال آية الله الميرزا جواد التبريزي، والشيخ محمّد رضا فاضل اللنكراني، والميرزا نور الله الشاه آبادي (الشاه آبادي الابن). وحضر كذلك في مجالس آية الله المرعشي النجفي، وآية الله الشيخ بهجت، وآية الله بهاء الديني. ونال بركة اعتمار العمامة على يد المقدَّس السيِّد محمّد رضا الكلبايكاني. وكان لسماحته علاقات وثيقة مع عدد من العلماء كآية الله الشيخ محمّد تقي مصباح يزدي وآية الله الشيخ محمّد علي ناصري. كما حضر في جبهة الحرب المفروضة على الجمهوريَّة الإسلاميَّة مبلغاً ومجاهداً.

• شخصيّة شاملة

سنوات الدراسة انتهت بعد عشر سنوات استجابة لرغبة سماحة سيِّد شهداء الأمَّة السيِّد حسن نصر الله، الذي طلب منه العودة إلى لبنان لتولّي بعض المسؤوليّات، حيث عكف شيخنا الشهيد على العمل التبليغيّ والجهاديّ في جنوب لبنان. وكان حاضراً في كلّ محطّات المقاومة الأساسيَّة في قيادتها وغرف عمليَّاتها وميادينها وبمسؤوليَّات متعدِّدة تشمل الجهاد والسياسة والأمن والإعلام والثقافة، إلى أن ارتقى شهيداً في بداية حرب

2024م بعد أكثر من أربعين عاماً صادقة في خدمة الله.

إنّ أوّل ما يلفت النظر هو توازن هذه الشخصيَّة؛ فهو المجاهد الميدانيّ، والسياسيّ البصير، والعالم المحقِّق، والمتعبِّد القرآنيّ، صاحب تزكية النفس، طيب الأثر في العلاقات الاجتماعيَّة، الولائيّ القائم على تكليفه.

- **ارتباطه بالعلم والعلماء**

لم يزل ملازماً للعلم والعلماء حتّى أواخر أيّامه، فلم يترك الدرس والتدريس والتأليف والمباحثة مع انشغالاته الجهاديَّة والقياديَّة، وحضر على منابر التدريس الحوزويّ والتثقيفيّ، وأقام مباحثة قرآنيّة وجلسة حفظ قرآن أسبوعيّة، وكانت له مؤلّفات تحقيقيّة حول بلال الحبشيّ وولائه لأهل البيت عليهم السلام. ومع الهجمة التكفيريّة لتشويه عقيدة أهل البيت عليهم السلام، وما حملته من افتراءات وتجنٍّ، عمد الشيخ الشهيد (رضوان الله عليه) إلى تأليف كتاب "عقائد الشيعة الإماميَّة"، حيث بيّن بوضوح عقيدة المسلمين الشيعة معتمداً الأدلّة المعتبرة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله الشريفة. وقبيل شهادته، كان قد خصّص وقتاً لتأليف كتاب في فقه الأخلاق.

وقد حرص الشيخ الشهيد على توأمة الأخلاق مع العلم والجهاد، فكان يرى في العلم الحجاب الأكبر إن لم يكن مقروناً بالعمل؛ لذا، رافقه بالتهذيب والتزكية من شبابه إلى شهادته.

- **الالتزام بالبرامج العباديّة**

كان (رضوان الله عليه) أقدر ما يكون على نفسه، إذ روّضها بالطاعة وهذّبها بالتهجّد في الأسحار وتلاوة القرآن والقيام في جوف الليل. وقد التزم ببرنامج عباديّ لسنوات طويلة. وكان ملتزماً بقراءة زيارة عاشوراء ودعاء العهد بشكلٍ يوميّ. وكان يتلو يوميّاً ثلاثة أجزاء من القرآن قياماً إجلالاً للقرآن وتعظيماً له مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وآله، وقد واظب على ذلك في أصعب لحظات عمره الشريف.

- **خصاله الشخصيّة**

عُرف بالسهر وقلّة الأكل والالتزام بخلوة السحر والذكر. لم يُشهد له كلام لا طائل منه أو في أمور دنيويّة. وكان حريصاً على الأخذ من علماء الأخلاق والارتباط بهم، بدءاً من درس الأخلاق الذي طلبه برفقة السيِّد حسن نصر الله والسيِّد هاشم صفي الدين من آية الله بهاء الدينيّ، وانتهاءً بالارتباط الخاصّ مع آية الله ناصري. كما حضر بانتظام عند آية الله بهجت قدس سره. وشهد له المؤمنون جلسات أخلاق عابقة بهذه الروحيّة والتزكية.

من بين جميع الصفات التي تميّز بها الشيخ (رضوان الله عليه)، لا بدّ

من ذكر زهده وعدم تعلّقه بالأمور الماديّة وعدم تكلّفه، فلم يتغيّر نمط عيشه بتغيّر المسؤوليّات والظروف، فغرفته الخاصّة به في مكان عمله لا تتجاوز الخمسة أمتار، وكذلك ظهر تواضعه في طعامه ولباسه وطريقة كلامه العفويّة واختلاطه بالناس وحبّه للحضور بينهم.

حرص الشيخ الشهيد على توأمة الأخلاق مع العلم والجهاد

كما تميّز بنظمه الدقيق، وعدم تسويفه للأمور، وقوّة إرادته، وعزمه، وحُسن ظنّه بالله وتفاؤله في أحلك الظروف، وكان مهتمّاً بقضاء حوائج الأيتام.

- **اتّباعه التامّ لسماحة الأمين العام**

عُرف سماحته بوقوفه الدقيق والكامل عند كلام سيّد شهداء الأمّة سماحة السيِّد حسن (رضوان الله عليه) وتكليفه، وكذلك احترامه الشديد له ووقوفه عند رغباته.

وكان يشهد على ذلك أدبه الشديد حين التكلّم معه، وتعظيمه له، وتغيّر لحنه وألفاظه حين الحديث عنه.

- **رجل إلهيّ**

إنّ التوازن في شخصيَّة الشيخ الشهيد في الأبعاد المختلفة، مع الإنجاز في كلٍّ منها، وعدم إغفال أيّ جانب أمر جدير بالملاحظة. وما يثير الإعجاب أنَّ سماحته كان ذا بركة في عطائه وجهاده ووقته وشؤونه، فكان على سبيل المثال في اليوم الواحد يستطيع متابعة شؤون العمل والجهاد، بالإضافة إلى حرصه على صلة الرحم، وبرّ الوالدين، ومتابعة المشاكل الاجتماعيَّة، وتلاوة القرآن والأدعية، وأداء الصلوات في أوقاتها. ولعلّ هذا من التوفيقات الخاصَّة بالرجال الإلهيِّين.

حديثٌ مع السيّد من عليائه

نرجس عربيد

اشتاقت أرواحنا لصوته وإطلالاته التي كانت تشدّ عزمنا دائماً، وتبهج نفوسنا. تمنيتُ لو أنّ له فرصةً من العلياء ليُحدّثنا مجدّداً، فطرحتُ أسئلةً ووجدت إجاباتها في خطاباته السابقة، في حوار افتراضيّ... كأنّما يعقوبنا شمّ فيه ريح يوسف الأخيرة.

في أيّ مرحلة نحن الآن؟

كما قلت سابقاً، نحن منذ الثامن من تشرين الأوّل/ أكتوبر وإلى اليوم، قبلنا هذا التحدّي، وأعيد وأقول لنتنياهو ولكيان العدوّ: «لن تستطيعوا أن تعيدوا سكّان الشمال إلى بيوتهم، وافعلوا ما شئتم، وسنبقى في مرحلة الإسناد لجبهة غزّة والدفاع عن وطننا إلى حين وقف العدوان على البلدين»[1].

• إلى أيّ حدّ نقترب من النصر؟

«الانتصار قد يعني تعطيل الأهداف الأساسيّة للعدوّ. وعندما تتمكّن المقاومة من منع العدو من تحقيق أهدافه تكون قد انتصرت»[2]. «وما نبحث عنه هو النصر، والحمد لله لا يوجد في جبهتنا أيّ إشارة ضعف أو وهن، ومعنويات المجاهدين في كلّ الجبهات عاليّة وقويّة وصامدة»[3]. «وكما قلنا بالنسبة إلى العمليّة البريّة الواسعة، فالمقاومة ستريهم أشدّ بأسنا على الحدود، والدخول البريّ على لبنان لن يكون نزهة، بل نقول للأعداء: سيختبر جنودكم الجحيم»[4].

• تأتي توصيّات من العلماء الربانيّين بالدعاء والإلحاح فيه حال الحرب، هل توصون بذلك أيضاً؟

«إنّ ما يجري في غزّة من قتل وتدمير يوميّ وجوع وتشريد وخوف وقلق وفي جبهة أخرى صمود وقتال ومواجهة يجب أن يحثّنا على الدعاء. وما يجري عندنا في جنوب لبنان وسوريا وفي المنطقة يجب أن يحثّنا على الدعاء. في كلّ تحدّياتنا الدعاء موجود. وهذا جزء من حياتنا وسلوكنا. واليوم نحتاج إلى الدعاء؛ لأنّه عندما نرمي فإنّ الله يسدّد وينصرنا. ومن المهم التوجّه إلى الله بالدعاء للمجاهدين أيضاً في كلّ الجبهات، الذين يقاتلون في ظروفٍ استشهاديّة صعبة، وهم معرضون للشهادة في كلّ لحظة»[5].

• كيف نحتمل الأثمان التي تُدفع والتضحيات؟

«انظروا جيداً في تجربة المقاومة؛ لأنَّ الناس شاهدوا ثمار التضحيات، عندما قدّموا فلذات أكبادهم وشاهدوا أمام أعينهم ثمار الدماء الزكية تحريراً للأرض، وتحريراً للأسرى، وأمناً وسيادةً وكرامةً وعزةً، ارتفع لديهم الاستعداد لمزيدٍ من التضحية، لذلك في مسألة المقاومة كثيرٌ من أبناء شعبنا يدعمون ويؤيدون ويعلنون استعدادهم لتحمل التبعات والتضحيات، لماذا؟ لأنّهم وثقوا بالمقاومة وبقدرتها على الإنجاز وعلى صنع الانتصار»[6]. «الأساس هو ارتباط رجائنا بالله (...)، هذا يجسّد ثقافة كربلاء في الشدائد. إنّ أكثر وقت اقتربت فيه من كربلاء من أي وقت مضى وفهمتها هو في حرب تموز 2006م. كان أهلنا يُهجرون ويخرجون من بيوتهم، وكانت البلاد تُدمّر وتُقصف، لدينا شهداء وجرحى وتهديد بالسحق تبلّغناه رسميّاً، في حال لم نقبل إعادة الأسيرين بلا قيد وبلا شرط، وتسليم سلاح المقاومة وقبول بقوّات متعدّدة الجنسيّات مُحتلّة. يومها حضر فينا وفي عقولنا وقلوبنا وعواطفنا وأرواحنا أكثر من أي زمن مضى معنى: (ألاّ إنَّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة). انتصرنا في تموّز رغم كلّ التضحيات حيث كان الحسين عليه السلام حاضراً»[7].

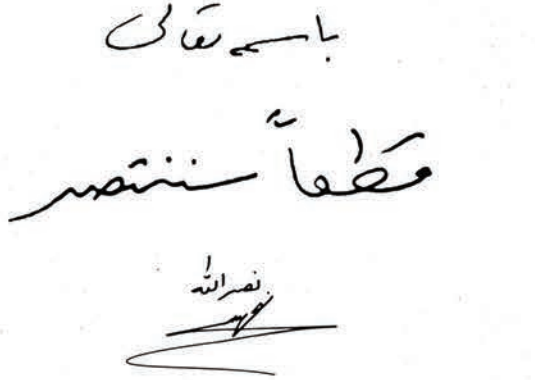

• **بمَ توصينا؟**

«أوصيكم أن يكون إيمانكم بقيادة سماحة السيّد الخامنئي دَامَ ظِلُّهُ مُحكماً وقويّاً من أجل خير دنياكم وآخرتكم»[8].

«وأتوجه إليكم جميعاً بالشكر، وأنتم تعبّرون اليوم كما كنتم تعبّرون على مدى 40 عاماً عن وفائكم عن إخلاصكم وعن صدقكم وعن ثباتكم، لم يمنعكم عن ذلك لا حربٌ ولا قتالٌ. اليوم نجدد بيعتنا وعهدنا وميثاقنا مع سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونقول له: يا سيدنا وإمامنا، نحن باقون معك، وفي طريقك، نلبّي نداءك، نحمل رايتك، نحفظ إسلام جدّك الذي استشهدت من أجل بقائه وحفظه، ندافع عن عزّة أمّتنا التي استشهدتَ من أجل أن تبقى عزيزةً، فلا يذلّها عالمٌ مليء بالطواغيت. نحن اليوم ومن ميادين الجهاد، رجالاً ونساءً وشيباً وشباناً وصغاراً وكباراً، نجدّد لك يا أبا عبد الله، عهدنا وبيعتنا وصدقنا وإخلاصنا والتزامنا في هذا الطريق، الذي لن نتخلى عنه مهما كانت التضحيات»[9].

«اذكروني في دعائكم، وأنا شخصيّاً لن أنساكم من الدعاء إن شاء الله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[10].

الهوامش

(1) مقتبس من كلمة الأمين العام لحزب الله الشهيد السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليه) بتاريخ: 2024/9/19م.
(2) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 2017/6/24م.
(3) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 2024/4/29م.
(4) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 2024/9/19م.
(5) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 2024/4/29م.
(6) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 2019/9/10م.
(7) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 31 /202/7م.
(8) قصاصة مصوّرة من توصيّة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 1430هـ/ 2009م.
(9) من كلمة لسماحته (رضوان الله عليه)، بتاريخ: 2022/8/9م.
(10) ختام خطابه في ليلة العاشر 2024م.

الحاج قاسم سليماني عن قرب

حوار مع الشهيد على طريق القدس الحاج ماجد رَحِمَهُ اللهُ

في الذكرى الأولى لعروج شهيد القدس الحاج قاسم سليماني، تشرّفت مجلة "بقية الله" بإجراء حوار عنه، نُشر في العدد 352، وأُخفي اسم الضيف لأسباب أمنيّة، واليوم نُعيد نشر هذا الحوار باسمه الحقيقيّ؛ الحاج محمد جعفر قصير (الحاج ماجد)، الشهيد القائد الذي حدّثنا عن شهيد قائد سبقه وكان هو في الأثر "ومنهم من ينتظر".

لأنّه شخص استثنائيّ لا يتكرّر، فقد بكاه الإمام الخامنئيّ دام ظله بحرقةٍ وألم. إنّه شخصيّة متعدّدة الجوانب؛ فهو في اللحظة التي يكون فيها قائداً، وزعيماً، يكون المفكّر، والمجاهد، والأخ، والأب، والابن، والصديق، والرفيق... وقد منحه العدوّ باغتياله أرفع وأسمى وسام، ألا وهو وسام الشهادة.

اختار "حبيب" اسماً جهادياً له، وكان حبيبَ كلِّ مَن عرفه قبل استشهاده، وبعده. للوقوف عند بعض جوانب هذه الشخصيّة الاستثنائيّة، كانت هذه المقابلة التي أجرتها مجلّة "بقيّة الله" مع أحد أصدقائه المقرّبين وزملاء دربه لنزداد قرباً.

• لم يكن الشهيد سليماني شخصيّة مجهولة لدى الناس، لكنّ شخصيّته الجهاديّة والإنسانيّة لا يعرفها إلّا المقرّبون، كيف تصفونه عن قرب؟

الحاجّ قاسم سليماني هو ذلك الشخص الذي يصعب أن يعرف أحد قدره، باستثناء السيّد القائد دام ظله بدلالة بكائه عند استشهاده، الذي لم يكن بكاءً على شهيد، بل كان بكاءً مرّاً، يدلّ على عظمة هذه الشخصيّة. حتّى أخصامه لا يعرفون قدره الحقيقيّ، لكنّهم يعرفون خطورته عليهم. يصعب أن نجد شخصيّة متعدّدة الجوانب وواسعة الأفق مثله. الكاريزما، والشروط الموضوعيّة، وغيرها، التي كانت في الحاج قاسم، لم تكن موجودة في غيره، وهو كان منتبهاً لذلك، إذ كان يشير ويعبّر مراراً وتكراراً بقوله: "أنا غير باقٍ لأبد الآبدين، ومن سيأتي بعدي ربّما لن يستطيع أن يقدّم ما أستطيع أن أقدّمه، لذلك فليستفد الإخوان الآن".

في عزّ انشغاله بالقضايا الكبرى، لم يقصِّر في تعامله الإنسانيّ. فقد عمل الحاج قاسم على الاهتمام باحتياجات الناس المعنويّة والماديّة، والسعي في قضاء حوائجهم. وكان يدعونا أيضاً إلى الاهتمام بالناس جميعاً، سواء المتديّنين أو غير المتديّنين منهم؛ ترسيخاً لقيم الإسلام. وكان دقيقاً في المستوى الأخلاقيّ؛ إذا أراد أن يصدر أمراً، كان يستخدم أسلوب التمنّي؛ أي: أتمنّى. وكان يصرّ في الفترة الأخيرة على مدّ أواصر العلاقة مع أبناء الشهداء في لبنان، من خلال الاعتناء بهم وقضاء حوائجهم.

• شاهدنا تسجيلات عدّة تتحدّث عن رقّة قلبه ودموعه، عن قرب، بماذا تميّز الشهيد سليماني أخلاقيّاً؟

أكثر ما تميّز به الحاج قاسم هو الوفاء، وهو ميزة عجيبة وعميقة؛ مثلاً، بعدما استشهد أحد الضبّاط السوريّين الذي قدّم خدمات كثيرة للمقاومة في مرحلة الدفاع عن المقدّسات، أراد الحاجّ قاسم أن يردّ له الجميل وفاءً لما قدّمه، فلم يترك عائلته بعد استشهاده، وكان يهتمّ ببعض شؤونهم، ويقول: "إنّ هذا دَين، يجب أن نوفيه له".

كما أنّ من يعرفه، يعرف تواضعه، فهو لم يكن تلك الشخصيّة العسكريّة الجهادية المتصلّبة، فقد كان ينسى أنّه قائد، يتوجّب عليه المحافظة على مسافة هيبة بين قيادته وبين عناصره، على قاعدة "أن تُهاب خيرٌ من أن تُحبّ". ولأجل تواضعه هذا احتلَّ مكانةً كبيرةً في قلوب إخوانه ومحبّيه. من أحد المشاهد الجميلة التي لا أستطيع نسيانها أنّه عندما كان يترجّل من الطائرة، كان يحاول أن يُقبّل أيدي الموجودين من الإخوان، وبحرص ودقّة يسأل عن أحوالهم وشؤونهم التفصيليّة.

كان يهتمّ براحة العناصر النفسيّة أيضاً، ففي يوم من الأيّام، كنّا مجموعة، وكان من المفترض أن يبيت الإخوان في أحد الفنادق، والشهيد القائد في مكان آخر، فلم يتقبّل فكرة الفصل، ثمّ أُجريَ ترتيب عمليّ على أنّ يبيت الحاجّ مع الإخوان لكن في غرفة منفصلة، لم يتقبّل أيضاً أن يستقلّ في غرفة، فيما بقيّة الإخوان يمكثون كلّهم في غرفة واحدة، أمّا في موضوع الطعام، فقد كان يحرص على أن يأكل الإخوان كلّهم معه، ومن الطعام نفسه. والجدير ذكره، أنّنا كنّا في أحلك الظروف، نجد مع الحاجّ قاسم الوقت لنضحك، كان يبتسم كلّما نظر في وجه أحد ما. هناك تعبير جميل في اللغة الإيرانية "بي نظير"؛ أي "ليس له نظير أو مثيل".

• معنويّاً، ما هي أكثر الأمور تأثيراً به؟

مِن مميّزات الحاج قاسم المعنويّة، أنّه كان يعيش حالة أنّ بدنه في الدنيا وروحه في الآخرة، ولكن لا يلاحظ ذلك أحد. فمن يقرأ وصيّته يجد أنّها جامعة. هذا القائد الذي يوجّه نصيحة للمسؤولين من مختلف الأطياف السياسيّة، هو نفسه يقول لحسين بور جعفري (مساعده): "أنا زاحمتك، وأتعبتك، وأنا أعتذر منك..." وقد استشهد معه. إضافة إلى حنينه إلى الجبهة، لطالما تأثّر الشهيد قاسم بذكريات الحرب المفروضة، وكذلك بذكريات الإخوة الشهداء، كان يبكي بكاءً شديداً كلّما أتى أحد على ذكر اسم شهيد منهم.

• كان الشهيد قاسم يغيب فترات طويلة عن بيته وعائلته بحكم عمله. كيف كان يتعامل مع هذا الموضوع؟

كان لديه خصلة جميلة وراقية، حتّى في عزّ حضوره بالجبهات، كان يتّصل يوميّاً بزوجته ليطمئنها عنه، وليهدّأ بالها؛ لحرصه على مشاعرها، كونه يعلم أنّها شديدة القلق عليه. وفي اليوم الذي لا يستطيع الاتّصال فيه بها، كان يعتبر أنّه مقصّرٌ في حقّها. وكان أيضاً في خضمّ المعارك، وفي لحظات الشدّة، يتّصل بابنته، إذ كانت علاقتها به مميّزة. هذا هو قاسم سليمانيّ الإنسان

صاحب المشاعر والقلب الرقيق.

ولرقّة قلبه درجات عميقة، ففي أحد أيّام الشتاء، حيث تتساقط الثلوج في طهران، كان الشهيد حاضراً في إحدى الجبهات، فاتّصل بالإخوة في طهران ليسأل عن المناطق الحرجيّة حولها، حيث تسكنها غزلان بريّة، فأخبروه أنّها مقفلة جرّاء تساقط الثلوج، فطلب منهم وضع الطعام على أطراف الأحراج، والسبب: "لأنّ الغزلان لن تجد قوتاً"! هذا الردّ في حدّ ذاته كان مدعاةً للدهشة، فمع كون المعركة في أوْجها، لم يمنعه ذلك من التفكير بالغزلان، وأخيراً قال: "إنّها تدعو لنا". ولم يكتفِ بالطلب، بل أعاد الاتّصال بعد ساعة، للسؤال: "هل تمّ تنفيذ الأمر أم لا؟".

• ثمّة تسجيل يقول فيه الشهيد المهندس إنّه يفخر بأن يكون جندياً عند الشهيد سليماني، وتدمع عيناه حبّاً، ما سرّ هذا التعلّق بينهما؟

في البداية، كانت علاقة الحاجّ أبو مهدي بالحاجّ عماد وثيقة جدّاً في فترة من الفترات قبل أن تكون علاقته متينة بالحاجّ قاسم، التي توثّقت عملياً بعد الاحتلال الأمريكيّ للعراق، وتحديداً عندما تسلّم الحاج قاسم مسؤوليّة فيلق القدس، وهكذا بدأت العلاقة المميّزة، على الرغم من أنّهما كانا في جبهة الحرب المفروضة نفسها، لكن لم تنشأ هذه العلاقة حينها. وليس بغريب أن يصف الحاجّ قاسم الحاجّ أبا مهدي بالأخ والصديق والعزيز والحبيب؛ أوّلاً لأنّ العلاقة بينهما علاقة تاريخيّة طويلة، وثانياً؛ لأنّ إخلاص أبو مهدي إلى خطّ الولاية، إخلاص مميّز. واللافت أنّه عندما كان يُسأل كلّ واحد عن علاقته بالآخر، كان الحاج أبو مهدي يقول: "أنا جنديّ عند قاسم سليماني"، وكذلك كان الحاج قاسم يقول: "أنا جنديّ عند الحاجّ أبو مهدي". فالشهيد القائد الحاج أبو مهدي المهندس تميّز بأخلاقه وابتسامته التي لم تفارق وجهه. وهو من القادة المجاهدين الذين يستحقّون أن يُسلّط الضوء على حياتهم وسيرتهم الجهاديّة، مع أنّه لن يوفّى حقّه؛ إذ له تاريخ جهاديّ حافل.

• ماذا تخبروننا عن شخصيّته الحازمة القياديّة؟

كان الحاجّ قاسم مسؤول فيلق القدس، الأمر الذي ألقى على عاتقه مسؤوليّات جساماً، ما استدعى أن يكون جديّاً وحازماً وصارماً ورقيباً ومسؤولاً في المواقف التي تتطلّب ذلك، وشديد الحرص على متابعة أدقّ التفاصيل مع المعنيّين؛ فإذا ما أعطى تعليمات بتنفيذ مهامّ ما، كان لا ينتظر كثيراً حتّى يقوم بالاتّصالات لمتابعة ما هي درجة تنفيذ هذا العمل، وأين أصبح، وهل ثمّة معوّقات. وفي هذا المجال، كنّا نمازح الأخ الشهيد حسين بور جعفري

(رحمه الله) وهو مساعده، وأمام الحاج قاسم، بالقول: "أنت إلى الجنّة بثيابك، لأنّك تحمّلت العمل مع الحاج قاسم!". فقد كان دؤوباً في متابعة المهامّ.

• عن اللحظات الأخيرة، كيف كان الوداع الأخير؟

يوم الجمعة، كنت عند الحاج قاسم في إيران، حيث كان وعائلته في منطقة (كرج)، وكان من الضروريّ جدّاً أن ألتقي به. قابلته واتّفقنا على أن نلتقي الاثنين لنتكلّم بالتفاصيل. يوم الاثنين، ذهبت إليه وقابلته، فطلب منّي أن نذهب معاً إلى العراق، كونه سيغادر إلى العراق في اليوم الثاني؛ أي الثلاثاء، فقلت له إنّنا سنلتقي في العراق يوم الأربعاء. قال لي حينها بور جعفري: "لمَ لا تذهب معنا إلى العراق غداً؟"، فقلت له: "لا أستطيع، لديّ بعض الأعمال الضروريّة". وقتها لم يتدخّل الحاجّ قاسم.

يوم الثلاثاء، أتى الحاج قاسم إلى لبنان، وقد كان من المفترض أن يسافر إلى العراق. التقينا، ويوم الأربعاء قلتُ لبور جعفري: "ألم تكونا ذاهبَين إلى العراق؟"، قال لي: "بلى، ولكن في اللحظة الأخيرة طلب الحاج قاسم أن نأتي إلى لبنان".

يوم الخميس، كان من المُقرَّر أن يسافر الحاج عند الساعة السابعة، كنّا حينها في سوريا، ولسبب ما تأخّر إقلاع الطائرة إلى الساعة الحادية عشرة. كنت أهمّ بترتيب أوراقي للمغادرة، فأتى الشهيد بور جعفري بالخبز المحمّص، فأخذ منه الحاج رغيفاً قسمه إلى قسمين، أخذ نصفه وأعطاني النصف الآخر، وقال لي: "أنا سأسافر، متى ستأتي إليّ؟"، قلت له: "السبت"، قال لي: "لا تتأخّر". فوقف بور جعفري وقال لي: "حاج، فلتذهب معنا"، قلت له: "لا أستطيع"، فردّ الحاج قاسم مباشرة، وقال له: "دعه، إنّه لا يستطيع أن يذهب معنا، فلديه عمل ضروريّ". فعاد بور جعفري وألحّ، وعاد الحاج قاسم ليقول: "دعه، لديه عمل ضروريّ، وسيلتحق بنا لاحقاً". أكلتُ نصف رغيفي وذهبت، كان ذلك قبل استشهاده بستّ ساعات.

• من عرف الشهيد القائد لوعه شوق الفراق، فماذا تفعلون حين تشتاقون إليه؟

ألجأ إلى أرشيف الذكريات، إلى اللطميّات التي كان يسمعها بكثرة، إلى الصور، إلى الفيديوهات، وكلّ ما يتعلّق به. صحيح أنّ العودة إلى تلك الذكريات أمرٌ مفرح، ولكنّها موجعة كثيراً في الوقت نفسه، لأنّنا نتحسّر على خسارة شخص مجاهد ومقاوم لا مثيل له، نتحسر على فراقنا له، وما يعزينا أنّه نال أمنيّته، ومخلّدٌ اسمه رغماً عن أعدائه.

"ترميم الهيبة" لا يجدي نفعاً

ضحى حمادي*

إنّ خسارة السمعة والصورة اللتين عملت «إسرائيل» طويلاً على تكريسهما كـ«دولة ديمقراطيّة» في الشرق الأوسط، ليست بالأمر الذي يمكن لها أن تتخطّاه، خصوصاً مع ارتفاع الأصوات اليهوديّة في العالم، والتي ترفض استخدام «الهولوكست» لتبرير الإبادة في غزة، ناهيك عن الرفض العالميّ لما يجري هناك؛ فكلّها خسائر متحقّقة حتّى الآن.

• طوفان الأقصى يسحق "هيبة" الكيان

أثبتت الحرب أنّ "الكيان" بحاجة إلى جيش كبير، وأنّ حجم الخسائر والحاجة إلى بناء القوّة يتطلّبان زيادة عدد القوّات النظاميّة والاحتياط، الأمر الذي سيفجّر الداخل الإسرائيليّ، وهو ما بدأت إرهاصاته الآن في ظلّ رفض الحريديم عمليّات التجنيد.

كما أنّ الخسائر التي مُني بها الجيش الإسرائيليّ متعدّدة الطبقات

والمستويات، سواء كانت تكتيكيّة أم استراتيجيّة، داخليّاً وخارجيّاً، فلم يعد قادراً على تغيير أيّ واقع في المنطقة، في ظلّ عجزه عن تحقيق انتصار في أيّ معركة. كما بات يفتقر إلى مقوّمات الصمود والتماسك الذاتيّين، اللذين يؤهّلانه للتعامل مع المعارك المستقبليّة، في مقابل الصمود الأسطوريّ للمقاومة الفلسطينيّة وعمليّاتها النوعيّة مع القدرة على الثبات لأشهر أخرى من الحرب، على الرغم من الحصار وضيق المساحة الجغرافيّة والظروف الصعبة.

ومع استمرار الحرب، يتعمّق الضرر بين المجتمع والحكومة، إذ إنّ علاقة الثقة التي كُسرت بين غالبيّة المجتمع الصهيونيّ والحكومة تتطلّب سنوات طويلة لاستعادتها. وأخطر ما في ذلك أنّ الإنجاز العسكريّ والسياسيّ، في حال تحقّق، لن يستمرّ إذا كُسرت الجبهة الداخليّة. في المقابل، يدرك المدنيّون، في غزّة والضفّة الغربيّة على السواء، حجم التضحيات التي تبذلها المقاومة، ويؤمنون بإخلاصها لقضيّة بلادهم، فيتحمّلون الأذى معها، ويعوّلون عليها في الثأر لهم.

إنّ تراجع القوّة والهيبة، أجبر الكيان على الاستعانة بالولايات المتّحدة الأمريكيّة

إنّ تراجع القوّة والهيبة والردع والقدرة على المواجهة، أجبر الكيان على الاستعانة بالولايات المتّحدة الأمريكيّة وبدول غربيّة من أجل تأمين الحماية له لأنّه أصبح عاجزاً عن حماية نفسه. وثبت أكثر عجز القوّة الدفاعيّة عن حماية الكيان والمستوطنين، حيث إنّ صواريخ المقاومة ومسيّراتها تصل إلى عكا والنقب وسيدروت في ظلّ التأهّب الأقصى للقبّة الحديديّة، ومقلع داوود، والأقمار الصنّاعيّة الأمريكيّة والإسرائيليّة والغربيّة

• النازحون الصهاينة دون انتماء للأرض

وجد النازحون الصهاينة أنّ التضحيات التي قدّموها في حماية الحدود وتحمّل خسارة المنزل والبيئة والعمل، أصيبت مرّة أخرى بخيبة أشدّ قسوة مقارنة بالتوقّعات والوعود التي قُدّمت لهم. وقد بنى المستوطنون على أساسها خططهم وآمالهم وحدود تحمّلهم، وأوّلها حسم حلّ العودة الآمنة قريباً، تماماً في التوقيت الذي بدأ فيه المجتمع بفقدان المناعة لامتصاص الصدمات؛ فتراجعت قدرته على التعامل مع التحدّيات، وضعفت أرضيّة التحمّل، وأصبح الميل إلى الاستسلام للواقع الجديد والجنوح نحو بناء مسار وخطط منفصلة

عن الخطّة الحكوميّة المبهمة واضحاً جدّاً. لذلك، وجد النازحون أنّ الحلّ ببساطة يكمن في عدم العودة إلى المناطق الحدوديّة حيث يمكن استبدالها ببساطة بمناطق أخرى، فهي ليست أرضهم ليعودوا إليها.

- **قابليّة الترميم على المدى الطويل**

إذا استطاع الكيان تحقيق صورة نصر، سترتفع معنويّات الصهاينة (مستوطنون وقادة وجيش)، الأمر الذي سيمنحهم دافعاً أكبر على الترميم بشكل أسرع في مجالات عدّة، منها:

أوّلاً: اقتصاديّاً

1. محاولة الكيان تعبئة الموارد الماليّة وتحصيل الدعم الغربيّ، واستثماره في إعمار البنية التحتيّة المتضرّرة، وتعزيز القدرة على استئناف الإنتاج الصناعيّ والقطاعات الحيويّة، والتعافي الاجتماعيّ.
2. اتّخاذ مختلف الإجراءات التي من شأنها استعادة جذب الاستثمارات إلى داخل الكيان، واسترجاع مكانته في التصنيف الائتمانيّ.
3. فكّ الحصار اليمنيّ عن الكيان، وهو ما سيعيد سلاسل التوريد الدوليّة بشكلٍ أكبر، فتنشط حركة الموانئ.

ثانياً: دوليّاً

1. محاولة الكيان الحصول على دعم ماليّ وعسكريّ ودبلوماسيّ أكبر من حلفائه خلال مرحلة التعافي، والسعي إلى تحصيل مساعدات من الدول المطبّعة.
2. السعي إلى بلورة سرديّة جديدة تحاكي حجم "الظلم" والخسائر التي تكبّدها نتيجة هجمات حماس ومحور المقاومة لجذب الدعم الدوليّ

ثالثاً: عسكريّاً

1. الاستفادة من التجربة العسكريّة خلال الحرب وترميمها بناءً على الدروس المستفادة، وخاصّة في ما يتعلّق بالاستخبارات، بعد فشل الوصول إلى الأسرى داخل غزّة.
2. ارتفاع معدّلات الثقة بالجيش وحاجة المستوطنين إليه خشية تكرار حادثة 7 تشرين الأوّل/ أكتوبر، ما يحقّق للكيان مرونة أكبر في إمكانيّة تجنيد جنود جدد وتدريبهم وتجهيزهم، ومحاولة توفير الاحتياطات من حيث الأفراد والمعدّات التي ستعزّز قوّته على الحدود، ما يرفع الشعور بالأمن والأمان.

3. السعي إلى ترميم الجيش بعد إثبات فشل سياسة تقليص القوّات خلال آخر 20 عاماً وإهمال ذراع البرّ، بشكلٍ يسمح بالمبادرة إلى تنفيذ ضربات استباقيّة والدفاع عن الكيان مرّة أخرى.

- **ترميم الحالة النفسيّة**

بعد محاولات الترميم والمعالجة في المجالات أعلاه، سيسعى الكيان إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعيّ والنفسيّ من خلال تكريس صورة نصر وهميّ لاستدراج مساعدات ماليّة وتكنولوجيّة ولوجستيّة من الدول الحليفة والمطبّعة. وهو سيحتاج على الأقلّ من 5 إلى 7 سنوات ليتمكّن من ترميم خسائره على الصعيد الاقتصاديّ.

بحسب السيناريو السابق، ربّما سيتعافى مستوطنو الكيان الذين لم يتضرّروا بشكلٍ مباشر في الحرب بشكلٍ أسرع من الذين نزحوا من مستوطنات غلاف غزّة والمستوطنات الشماليّة (نحو 120 ألف)، وذلك بسبب ما تعرّضوا له خلال الحرب من نزوح وإهمال الحكومة لهم. وسيحتاج الكيان على الأقلّ إلى سنتين لترميم الوضع النفسيّ والاجتماعيّ لمستوطني الشمال والجنوب.

- **الترميم السياسيّ**

سيعاني الكيان من مشكلة ترميم وضعه السياسيّ سواء في حال الهزيمة في الحرب أو تحقيق صورة نصر وهميّ:

1. **في حال الهزيمة:** ستتفاقم الانقسامات السياسيّة الداخليّة وستتصاعد أصوات المعارضة المطالبة بإسقاط نتنياهو وتحميله مسؤوليّة الهزيمة، ما يزيد الشرخ بين مكوّنات المجتمع الصهيونيّ.
2. **في حال تحقيق صورة النصر الوهميّ:** سيتحقّق دافع أكبر لتثبيت

نتنياهو كقائد حقّق النصر للكيان، فتتفاقم الخلافات الداخليّة السياسيّة السائدة ما قبل الحرب حول صعود اليمين المتطرّف.

- **الهزيمة مؤشّر بداية الزوال**

إذا انهزم الكيان الحرب، لن يكون من المبالغة القول إنّ كابوس الزوال سيبدأ بالتحقّق فعليّاً، وذلك من خلال:

1. تعمّق الخلافات السياسيّة الداخليّة بين المؤسّستين العسكريّة والسياسيّة من جهة، واليمين المتشدّد والمعارضة من جهة أخرى.
2. تراجع فرص الحصول على مساعدات ماليّة وتكنولوجيّة ولوجستيّة من الدول الحليفة والمطبّعة، وتراجع أكبر في الاقتصاد، والحاجة إلى وقت أكثر لإعادة الإعمار.
3. فقدان القدرة على تطوير القوّة العسكريّة، وفشل في محاولات التجنيد.
4. زيادة شعور المستوطنين في عدم الأمن والثقة بقيادة الاحتلال، وارتفاع الشعور بالتهديد، وانحدار تدريجيّ في تعافي حالة المستوطنين النفسيّة.
5. انخفاض المعنويّات العامّة، وعدم القدرة على التكيّف مع الواقع الجديد، وزيادة الشرخ بين مكوّنات المجتمع الصهيونيّ.
6. ارتفاع نسبة الهجرة العكسيّة.

إذاً، في حال مُنيَ العدوّ بالهزيمة أو حقّق صورة نصر وهميّ، كما هو حاله بعد أن أرغم على وقف إطلاق النار مع المقاومة في لبنان نتيجة صمود المقاومة وتكبّده خسائر فادحة فإنه سيواجه مزيداً من التصدّع داخل جبهته الداخليّة، بحيث ستتطوّر الانقسامات، وسيزداد حجم الشرخ بين جميع الأطراف على صعيد الرأي العامّ الدوليّ، أي أنّنا سنشهد بداية تفسّخ هذا الكيان، وهو قريب.

الهوامش

*باحثة في الشؤون الإعلاميّة.

شيفـرة المقاومة؟

حوار مع أحد مجاهدي المقاومة الإسلامية

سؤال كبير يُطرح في كلّ مرّة تخوض فيها المقاومة الإسلاميّة حرباً ضدّ جيش العدوّ الإسرائيليّ، أقوى جيوش المنطقة عدّة وعتاداً: كيف سننتصر؟

إذا قاربنا موضوع النصر والانتصار ببُعده الماديّ، لما وجدنا له جواباً؛ لأنّ ثمّة في العلم العسكريّ ما يسمّى بـ»جدول ميزان القدرة القتاليّة» للجيوش، الذي يستعرض كلّ إمكاناتها وترساناتها العسكريّة، وهو ما لا يمكن مقارنته بما لدى المقاومة الإسلاميّة من قدرات. فكيف كانت المقاومة تنتصر إذاً؟ الجواب في هذه المقاربة التي يستعرضها أحد المجاهدين.

• القلّة في مواجهة القوّة

فلنعد بالذاكرة إلى عام 1982م، حينما وجدت المقاومة نفسها في مواجهة جيش يعيش نشوة الانتصار على المقاومة الفلسطينيّة وبعض الجيوش العربيّة. في ذاك الوقت، انطلقت المقاومة من مبادرات فرديّة وبوسائل قتاليّة بدائيّة للغاية، وإذ بها تجد نفسها في مواجهة جيش يمتلك من الطائرات والدبّابات والصواريخ والقذائف ما لا يمكن تخيّله أو إحصاؤه!

في ظلّ كلّ هذه الظروف الصعبة، استطاعت المقاومة أن تتصدّى للاجتياح الإسرائيليّ للبنان، وتدحر بعد 18 سنة، أي في عام 2000م، هذا العدوّ عن أراضينا، فألحقت الهزيمة بالجيش "الذي لا يُقهر"!

هل حصلت المقاومة على مدى 18 سنة على طائرات، أو توازن سلاح، أو قدرات نوعيّة؟ الجواب هو كلا، وإنّما ما طرأ هو تكريس معادلة انتصار جديدة طرأت على طبيعة الصراع حتّى أدّت إلى هذا الانتصار غير المتوقع والمسبوق. في الحقيقة، كان ثمّة سرّ على مدى كلّ تلك السنوات بما تخلّلته من تضحيات وشهداء وجرحى وشقاء، حتّى بات هاجس العدوّ هو حلّ لغز هذا السرّ أو ما أسماه بـ "فكّ شيفرة حزب الله"؛ إذ كيف لهذه الثلّة القليلة المجاهدة بما تمتلكه من قدرات متواضعة أن تنتصر على هذا الجيش المدجّج بأكثر أنواع الأسلحة تطوّراً؟

شهد عام 2000م ذروة إجـــراءات العـدوّ الدفاعيّة

• ذروة الإجراءات... واندحار

شهد عام 2000م ذروة إجراءات العدوّ الدفاعيّة؛ إذ إنّه كان يزداد قوّة وصلابة يوماً بعد يوم، وعمليّة بعد عمليّة، وصراعاً بعد صراع، حتّى بات لا يوجد بقعة في العالم يحتشد فيها هذا الحجم من الإجراءات والمواقع والأسلحة والتقنيّات كما هو الحال في هذه البقعة. والسؤال المهمّ الذي يُطرح هنا: كيف يمكن لدولة وصلت إلى ما وصلت إليه من ذورة الإجراءات عام 2000م، أن تندحر عن الأراضي التي احتلّتها في ذاك العام نفسه؟! بكلّ بساطة، ثمّة معادلة مختلفة عن المعادلات التي تعلّمناها في الكتب، وهذا هو إرثنا وسرّنا الأعظم، أو بالأحرى هذه هي الشيفرة التي حار العدوّ في أمرها ولا يعرف كيفيّة فكّها. ما هذا السرّ؟ هو ما سنكتشفه تباعاً.

• صورة الردع في الواجهة

لم تكن فكرة الانسحاب الإسرائيليّ مطروحةً في ذلك الوقت، إلى أن

قال لنا سماحة السيّد حسن نصر الله عام 1998م في لقاء معه، أنّ ثمّة كلاماً عن الانسحاب الإسرائيليّ، وتلك كانت المرّة الأولى التي نسمع فيها هذا الكلام منه. فقلنا حينها: "تخيّلوا يا إخوان أن ينسحب العدوّ الصهيونيّ في يوم من الأيّام، وتتحوّل هذه المنطقة إلى مكان سياحيّ، ويأتي الناس من أقطار العالم لزيارتها!". كانت هذه الفكرة ضرباً من الخيال، لذلك أنهينا الحديث بالضحك. وبالفعل، بقي النقاش لنحو عامين عن شكل الانسحاب بما يحافظ على الردع، هذا كان هاجس العدوّ حينها؛ لأنّ "إسرائيل" قائمة على ركيزة اسمها "الردع"؛ أي أنّها تنظر إلى نفسها على أنّها دولة قويّة لا يمكن هزيمتها، فإمّا أن يضع الطرف الآخر يده في يدها ويصالحها، وإلّا فستدّمره وتقتله. ولذلك، فالمحافظة على الردع هي من الثوابت التي ترتبط بوجود هذا الكيان. ولكنّ الرياح جرت بما لا تشتهيه سفنه، إذ مُني بهزيمة أفقدته ما تبقّى من تلك الصورة.

حرب 2006م كانت محطّةً جديدةً من الاختبار في تاريخ الصراع. هي

حـــرب2006 م كـانـت مـحـطّـةً جـديـدةً من الاختبار في تاريخ الصراع

لم تكن صدفة، بل كان يتحضّر لها العدوّ منذ زمن عدّةً وتخطيطاً وتدرّباً، وكلّ ذلك ليحقّق الحسم القاطع، ويعيد "لدولة إسرائيل" ما فقدته عام 2000م، لأنّ عقدة ذلك العام ظلّت راسخة في ذهن الإسرائيليّ، فاندلعت حرب تمّوز عام 2006م تحت عنوان استعادة الردع.

• الصراع غير المباشر

أدركت "إسرائيل" أنّها لا يمكنها هزيمة هذه الفئة بالقتال، فاستبدلت الصراع المباشر بالصراع غير المباشر، فدخلنا في جيل جديد من الحروب يسمّى "الجيل الرابع" من الحروب، والتي ترتكز على إيجاد البديل، ومن أبرز ركائزها، التماثل من حيث الشكل والهويّة والدين، فبرز العدوّ الداعشيّ في حرب سوريا عام 2011م.

حصل هذا العدوّ على كافّة أشكال الدعم العالميّ، من إمكانات وأسلحة واستخبارات، لدرجة أنّ حزب الله واجه حينها حرباً كونيّة في وجه أعتى عدوّ يمتلك من ثقافة التوحّش ما ليس له مثيل في تاريخ البشر؛ فعناصره يقاتلون ليقتلوا فقط، فينغمسون بين الناس ويفجّرون أنفسهم، هذه هي عقيدة هؤلاء.

استمرّ الصراع 8 سنوات مع تلك الجماعات في جغرافيا مترامية الأطراف لا حدود لها، وقد خاض فيها مجاهدونا كلّ أنواع القتال والحروب الجديدة والصعبة: حروب الجبال، والصحاري، والمدن، والفلوات، والأنفاق. فتحوّلت المقاومة إلى قوّة هجوميّة بعدما كانت دفاعيّة، وهذا تبدّل كبير جدّاً وغير معهود.

• نوع جديد من الحروب

نلاحظ أنّه بعد كلّ تلك الاختبارات الصعبة، حصلت 6 حروب في غزّة في أعوام: 2008م، 2009م، 2012م، 2014م، 2021م، 2022م، وقد أراد الله لنا من خلالها استقاء الدروس والعِبر. والدليل على ذلك أنّ الإسرائيليّ في الوقت الذي كان يخوض فيه حروبه ضدّ الفلسطينيّين، فإنّه كان يتحدّث مراراً وتكراراً عن الحرب الثالثة مع لبنان، وكان يراكم التجارب والخبرات ويزداد قوّةً وتسلّحاً، إلى أن وصل إلى استنتاج جديد، وهو أنّ لا إمكانيّة لدى الجنديّ الإسرائيلي لأن يحسم الحروب، فكان الحلّ بإيجاد قوّة تكنولوجيّة خارقة للطبيعة لسدّ الفجوة بين ضعف الجنديّ وتحقيق الانتصار. وهنا، وضعنا الله مجدّداً أمام اختبار جديد من نوعه في تاريخ حروبنا، ألا وهو الحرب الذكيّة التي تستند على الذكاء الصناعيّ. نتيجةً

لذلك، أوجد العدوّ جيشاً فيه من القدرات الذكيّة ما يشبه الخيال العلميّ، هو حصيلة ما لدى الغرب من تطويرات سُخّرت خدمةً لهذا الجيش على صعيد القدرات التكنولوجيّة والذكائيّة والتحكّم عن بُعد والأقمار الصناعيّة والحرب الإلكترونيّة.

• طوفان الأقصى والحرب الذكيّة

اندلعت معركة طوفان الأقصى في 7 تشرين الثاني/ أكتوبر 2023م، وقد ارتكزت على طفرة تكنولوجيّة ذكيّة غيّرت ماهيّة الحرب؛ فنظام الدرع الصاروخيّ، مثلاً، بعدما كان يعدّ خيالاً علميّاً، صار واقعاً وله منظومات قبّة حديديّة، فضلاً عن أنّنا بتنا نواجه دبّابات وآليّات تعمل من خلال التحكّم عن بُعد، والأمثلة عن ذلك تطول.

رغم ذلك كلّه، سطّر المجاهدون، كالعادة، بطولات وملاحم تفوّقت على كلّ ما أظهره العدوّ الصهيونيّ من تفوّق. وكانت النتيجة بعد شهرين ونيف من المعارك الطاحنة نصراً جديداً يضاف إلى سجلّ الانتصارات التي حقّقتها المقاومة في صراعها ضدّ هذا العدوّ على مدى عقود.

• التعلّم بالقهر... فرصة

ماذا كانت نتيجة كلّ تلك المحطّات؟ التعلّم بالقهر وليس بالاختيار، أي أنّ الله يأتي إليك فجأةً بحدث من خارج الصندوق ويدفعك للتصدّي، وهذا ما حصل في كلّ المحطّات التي خضناها؛ فاستطعنا تحت النار أن نطوّر عقيدة القتال الهجوميّة.

إذا أردنا أن نحتسب على الورقة والقلم كلّ ما مرّت به المقاومة من 1982م حتّى 2018م، وكلّ ما تعرّضت له من ضغوط وحصار وحرب على السمعة والبيئة، من المنطقيّ أن لا يبقى لها وجود. ولكنّ النتيجة كانت عسكيّة، إذ إنّها ثبتت وصمدت وصبرت وانتصرت.

فما هو القانون الذي خضعنا له حتّى ثبتنا وانتصرنا؟

• هذا هو السرّ

ثمّة أمر اسمه امتحان العبوديّة، وقد لمسناه حقيقةً في الميدان. ففي

أوجد العدوّ جيشاً فيه من القدرات الذكيّة ما يشبه الخيال العلميّ

معارك سوريا، مثلاً، كانت تصل نتائج المعركة إلى درجة امتحان العبوديّة، بمعنى أنّ قلوب الجميع بلغت الحناجر، وكانوا يصلون إلى مرحلة يقولون فيها: "متى نصر الله؟". لقد أوصلنا الله سبحانه وتعالى تلقائيّاً إلى مستوى العبوديّة الذي هو غاية الوجود والهدف من خلق الجنّ والإنس، فكان الجواب الإلهيّ: ﴿**ألا إنّ نصر الله قريب**﴾.

لكلّ جيش نظريّته في النصر. أمّا نظريّة الله، فيستعرضها لنا القرآن الكريم من خلال آيات كثيرة، منها: ﴿**وما النصر إلا من عند الله**﴾، ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾، ﴿**إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون**﴾، ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾. وهذا ما يوصلنا إلى نتيجتين:

1. لا يوجد عند الله سبحانه وتعالى نقاش في مسألة نصرة المؤمن، فهذا أمر محتوم، والمؤمن منتصر.
2. الله سبحانه وتعالى يهب النصر لمن يليق بهم؛ فإن كنت لائقاً بالانتصار، فالنصر سيكون محسوماً لا لبس فيه ولا شبهة.

إنّ كلّ الشدائد والمحن هي عين اللطف الإلهيّ،ومدرسة كربلاء خير دليل على ذلك؛ فبعدما كانت الأمّة في مكان آخر، لم يكن أمام خطّة الله سبحانه وتعالى إلّا تقديم دم أقدس الأقداس حتّى تستيقظ البشريّة من سباتها. وحتّى لا تُسبى زينب عليها السلام مرّتين في آخر الزمان، علينا أن نبقى في حالة استعداد دائم لنصرة إمام الزمان عجل الله فرجه.

نستنتج من هذا المسار أنّ من سينفّذ المشروع الإلهيّ على الأرض في هذا الكون هي هذه الثلّة المؤمنة. لقد حضّرنا الله لكلّ أنواع القتال من خلال الألطاف الإلهيّة الخفيّة التي بدأت تتكشّف من عام 1982م حتّى هذه اللحظة؛ فالله تعالى كان، ولا يزال، ينبّهنا ويدعونا للتهيّؤ والاستعداد لمقارعة الباطل، بالتالي، إقامة دولة الحقّ.

حرب الجيوش الرقمية

رؤبال ناصيف

يقول إريك شميت، الرئيس التنفيذيّ السابق لشركة جوجل، في معرض تعبيره عن التأثير المتزايد للتكنولوجيا في العالم الرقميّ: «الإنترنت هو أوّل شيء قامت الإنسانيّة ببنائه ولا تفهمه، وهو أكبر تجربة في الفوضى عرفناها على الإطلاق».

• الكثرة والتكرار

بعد أحداث 7/ تشرين الأوّل أكتوبر 2023م (طوفان الأقصى)، ظهرت موجة من الحسابات الإلكترونيّة على وسائل التواصل الاجتماعيّ تـروّج لـروايـات مضلّلة، مدعومة بصور وفيديوهات معدّلة أو مأخوذة من سياقات أخـرى، تتبنّى السرد الإسرائيليّ وتهاجم المقاومة الفلسطينيّة.

هـذه الحسابات وصفت العمليّة التي حدثت في غلاف غزّة بأنّها "هجوم على أراضٍ إسرائيليّة" ووصفت المقاومة الفلسطينيّة بأنّها "منظّمة إرهابيّة". كرّرت هذه الحسابات حملاتها بشكلٍ مستمرّ ومنظّم، لتبدو كأنّها تمثّل رأي جمهور واسـع مـن المستخدمين الحقيقيّين. ونتيجة هذا التكرار والانتشار السريع عبر الإنترنت، خاصّةً على منصّات مثل تويتر وفايسبوك، تأثّر الرأي العام العالميّ، واتّجه بعضه نحو دعـم الرواية

الإسرائيليّة وإدانة المقاومة الفلسطينيّة، بغضّ النظر عن صِحّة المعلومات التي روّجت لها أو زيفها.

حـملات التـأثير على الـرأي الـعـام ليست جـديـدة ولا تقتصر على العصر الرقميّ

• حسابات وهميّة

اللافـت أنّ هـذا التأثير لـم يـأتِ نتيجة دعم من مجموعة كبيرة من المستخدمين الحقيقيّين، بل بفضل حسابات وهميّة تمّ إنشاؤها وبرمجتها وإدارتها عبر مجموعة صغيرة من المستخدمين الحقيقيّين المدرّبين خصّيصاً لأداء هذه المهام. ومن هنا، جاء مصطلحا:

1. الجيوش الإلكترونيّة Cyber Armies: يعبّر عن مجموعات كبيرة من المستخدمين الحقيقيّين الذين يتمّ توظيفهم لإدارة الحملات الإعلاميّة والإعلانيّة بشكلٍ مباشر على الإنترنت مثل مجموعات منظّمة "مصنع ترول" (Troll Factory) الروسيّة، "جيش 50 سنت" (Cent Army 50) الصينيّ، و"جيوش تويتر" السعوديّة.
2. الذباب الإلكترونيّ Troll Bots: يعبّر عن الحسابات الإلكترونيّة الوهميّة التي تنشئها وتبرمجها وتديرها تلك الجيوش الإلكترونيّة لشنّ حملاتها ونشر دعاياتها بشكلٍ واسع وسريع، دون أن تكون هذه الحسابات حقيقيّة أساساً. وحيث إنّ هذه الحسابات كثيرة وتنتشر بسرعة وبشكلٍ مزعج ومشوّش تماماً مثل الذباب في الطبيعة، فلذلك وُصفت بالذباب الإلكترونيّ.

• لمحة تاريخيّة

حملات التأثير على الرأي العام ليست جديدة ولا تقتصر على العصر الرقميّ. فقد اعتمدت الحكومات والجماعات سابقاً على البروباغندا التقليديّة من خلال الإعلام والشخصيّات المؤثّرة لنشر رسائل دعائيّة. ومع ظهور الإنترنت، وتقدّم التكنولوجيا، لعب الذكاء الصناعيّ دوراً رئيساً في تطوير هذه الأدوات الدعائيّة وجعلها أكثر فعاليّة، من خلال:

1. **أتمتة النشر:** نشر الرسائل وتكرارها تلقائيّاً دون تدخّل بشريّ.
2. **استهداف أدقّ:** تحليل بيانات المستخدمين لتوجيه رسائل مخصّصة.
3. **إنتاج محتوى مخصّص:** توليد نصوص وصور وفيديوهات يصعب تمييزها عن المحتوى البشريّ.

4. **إخفاء التدخّل:** صعوبة كشف التدخّلات الدعائيّة بفضل تقنيّات الذكاء الصناعيّ.

• آليّة العمل

تعتمد الجيوش والذباب الإلكترونيّين تقنيّات رقميّة متقدّمة لتنفيذ حملات تأثير واسعة النطاق، وفق الآليّة الآتية:

1. **إنشاء حسابات وهميّة:** يُنشأ العديد من الحسابات الزائفة على مواقع التواصل الاجتماعيّ، التي تبدو وكأنّها حسابات حقيقيّة باستخدام صور وأسماء وهميّة.
2. **نشر المحتوى تلقائيّاً:** تستخدم هذه الحسابات روبوتات مبرمجة (Bots) لنشر الرسائل والمحتويات الدعائيّة بشكلٍ تلقائيّ ومستمرّ.
3. **التفاعل والتكرار:** تتفاعل الحسابات الوهميّة مع المنشورات (إعجابات، تعليقات، مشاركات)، وتكرّر الرسائل نفسها لتظهر وكأنّها منتشرة على نطاق واسع.
4. **استهداف دقيق:** بفضل تحليل البيانات، توجَّه الرسائل بشكلٍ مخصّص إلى فئات معيّنة من الجمهور بناءً على اهتماماتهم وسلوكهم عبر الإنترنت، ما يزيد من فعاليّة الحملة.
5. **السيطرة على النقاشات:** تساهم هذه الحسابات في توجيه النقاشات عبر السيطرة على المواضيع الرائجة وتضخيم الروايات الدعائيّة، بينما تقمع الآراء المخالفة.

• الأهداف

تهدف الجيوش الإلكترونيّة إلى تحقيق مجموعة متنوّعة من الأهداف، من أهمها:

1. **التأثير على الرأي العام:** نشر رسائل دعائيّة متكرّرة لتوجيه الرأي العام نحو جهة معيّنة، ممّا يجعل الجمهور يعتقد أنّ هذا هو الرأي السائد.
2. **تشويه سمعة المعارضين:** استخدام المعلومات المغلوطة لتشويه صورة الشخصيّات المعارضة.
3. **الترويج لأجندات سياسيّة أو اقتصاديّة:** دعم سياسات معيّنة أو التأثير على نتائج الانتخابات من خلال نشر أخبار مضلّلة.
4. **إلهاء الجمهور:** نشر معلومات غير مهمّة لإلهاء الجمهور عن القضايا الحقيقيّة.

5. **نشر الأخبار المزيّفة:** تضليل الجمهور عبر نشر معلومات خاطئة لإبعاده عن الحقائق.

تعتمد الجيوش والذباب الإلكترونيّين تقنيّات رقميّة متقدّمة لتنفيذ حملات تأثير واسعة النطاق

• المخاطر

رغم الفعاليّة التي تتمتّع بها الجيوش الإلكترونيّة في تحقيق أهدافها، فإنّها تشكّل خطراً كبيراً على المجتمعات، عن طريق:

1. **تشويه الحقائق وإضعاف الثقة:** انتشار الأخبار المضلّلة يضعف قدرة الجمهور على التمييز بين الحقائق والشائعات، ويقلّل من الثقة في وسائل الإعلام التقليديّة.
2. **تعزيز الفتنة والانقسام:** تُستخدم لنشر الكراهية واستهداف مجموعات معيّنة، ممّا يزيد من التوتّر والانقسام داخل المجتمعات.
3. **التنمّر الإلكترونيّ:** تستهدف أفراداً مثل الصحفيّين والناشطين في نشر الأكاذيب والتنمّر، ممّا يسبّب أضراراً نفسيّة لهم.
4. **تهديد الأمن القوميّ:** تُستخدم للتدخّل في شؤون الدول، كما حدث في الانتخابات الأمريكيّة 2016م.
5. **إضعاف المؤسّسات:** تهدف إلى نشر أخبار مزيّفة لزعزعة ثقة الجمهور في المؤسّسات الرسميّة.

• مواجهة المخاطر

يمكن اتّباع مجموعة من الإجراءات الوقائيّة التي تساعد في تجنّب الوقوع في فخّ التضليل والدعاية المضلّلة:

1. الاعتماد على مصادر موثوقة مثل المواقع الإخباريّة المعروفة، واستخدام أدوات مثل Snopes وFactCheck.org للتحقّق من صحّة الأخبار.
2. استخدام أدوات مثل Botometer لتحليل سلوك الحسابات وكشف ما إذا كانت وهميّة وروبوتيّة.
3. الحذر من الحسابات التي تحصل على تفاعلات ضخمة وغير منطقيّة في وقت قصير، فقد تكون موجّهة.
4. التريّث قبل النشر: أخذ الوقت الكافي للتحقّق من صحّة المعلومات قبل نشرها.

يمكن تطبيق التقنيات نفسها لحماية الحقيقة وتعزيز نشر المعلومات الموثوقة عبر «النحل النافع»

5. استخدام إضافات المتصفّح مثل NewsGuard للتحقّق من موثوقيّة الأخبار والمواقع.
6. مشاركة الآخرين بنصائح حول كيفيّة التمييز بين الأخبار الصحيحة والمضلّلة.
7. تجنّب الجدالات مع حسابات مشبوهة قد تكون مدارة من روبوتات تهدف لتشويه الحقائق.

- **"النحل النافع"**

في الوقت الذي تُستخدم فيه الجيوش والذباب الإلكترونيّين لنشر التضليل والدعاية الكاذبة، يمكن تطبيق التقنيات نفسها لحماية الحقيقة وتعزيز نشر المعلومات الموثوقة ودعم الشفافيّة ومكافحة الأخبار الزائفة، من خلال:

1. استخدام الذكاء الصناعيّ للكشف التلقائيّ السريع عن الأخبار الزائفة وتحليل النصوص، مثل أدوات Claim Buster وFull Fact.
2. تطوير روبوتات صحفيّة مدعومة بالذكاء الصناعيّ لكتابة تقارير مبنيّة على بيانات حقيقيّة، ممّا يساعد في محاربة التضليل.
3. دمج أدوات التحقّق من الحقائق في منصّات التواصل الاجتماعيّ لمراجعة المحتوى وتقديم تحذيرات عن الأخبار المضلّلة في الوقت الفعليّ.
4. استخدام الذكاء الصناعيّ لتحليل أنماط انتشار المحتوى ورصد الرسائل المضلّلة قبل أن تنتشر.

5. تطوير روبوتات لنشر الحقائق ومواجهة الحسابات الوهميّة بنشر محتوى موثوق.
6. استخدام الذكاء الصناعيّ لتطوير أدوات تعلّم الجمهور كيفيّة التمييز بين المعلومات الحقيقيّة والمضلّلة.

- **مستقبل الجيوش والذباب الإلكترونيّين**

في ما يأتي بعض الاتّجاهات المتوقّعة في المستقبل لهذه الظاهرة:

1. **تعقيد أكبر في الأساليب:** ستصبح الحملات أكثر تعقيداً باستخدام تقنيّات مثل Deepfakes لاستغلال الأحداث الكبرى والتلاعب بالمشاعر.
2. **الانتقال إلى منصّات جديدة:** الجيوش الإلكترونيّة ستتوسّع إلى "الميتافيرس" ومنصّات مثل TikTok، مع تركيز أكبر على المحتوى المرئيّ والتفاعلات الافتراضيّة.
3. **تطوّر الذكاء الصناعيّ:** سيتحسّن الذكاء الصناعيّ في محاكاة المحادثات البشريّة، ممّا يجعل من الصعب التمييز بين الإنسان والآلة.
4. **الهجمات الرقميّة الموجّهة:** ستعتمد الجيوش الإلكترونيّة على استهداف الأفراد بناءً على بياناتهم الشخصيّة وسلوكهم عبر الإنترنت.
5. **التنظيم الحكوميّ:** من المتوقّع أن تلعب الحكومات دوراً أكبر في تنظيم استخدام الذكاء الصناعيّ وتقنينه، ومكافحة الأخبار المضلّلة بالتعاون الدوليّ.
6. **التلاعب بالخوارزميّات:** ستعتمد الجيوش الإلكترونيّة على تحليل الخوارزميّات لضمان ظهور المحتوى المضلّل بشكل أولويّة على محرّكات البحث.
7. **تقنيّات مكافحة التضليل:** ستظهر تقنيّات جديدة مثل الذكاء الصناعيّ العكسيّ لرصد الأخبار المزيّفة والحسابات الوهميّة، مع تطوّر خوارزميّات على المنصّات الاجتماعيّة لمنع انتشار الحسابات الوهميّة

في النهاية، القوّة الحقيقيّة لا تكمن في التكنولوجيا وحدها، بل في الوعي والالتزام الجماعيّ بتوجيه هذه الأدوات نحو بناء مجتمع رقميّ أكثر صحّة وإيجابيّة. لأنّنا في نهاية المطاف، نتحكم بمستقبل هذه الأدوات، ونستطيع تحويلها إلى "نحل نافع" بدلاً من ذباب مزعج.

وائل كركي

تدّعي الكثير من الفيديوهات المنشورة أنّ بياناتنا في لبنان، قد أُخذت وسُحبت منذ عام 2005م، بحجّة التحقيقات في قضيّة اغتيال الرئيس رفيق الحريري. ربّما يكون هذا صحيحاً، ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك مبرّراً للاستهتار بأهميّة حماية بياناتنا وبيانات من حولنا، أو الاعتقاد أنّها ليست ذات أهميّة؛ فهذا خطأ كبير.

• البيانات الضخمة

في عصرنا الرقميّ، أصبحت البيانات العمود الفقريّ للكثير من العمليّات التقنيّة والتجاريّة والأمنيّة.

وفقاً لمؤسّسة البيانات الدوليّة (IDC)، فإنّ حجم ما يُعرف بـ"البيانات الضخمة" أو "البيغ داتا" بلغ أكثر من 60 زيتابايت، وهو ما يعادل كمّيّة هائلة من المعلومات، إذ إنّ كلّ واحد زيتابايت يساوي بليون تيرابايت. وقبل الخوض في تفاصيل الموضوع، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ البيانات التي يمتلكها أيّ جهاز، سواء كان هاتفاً أو حاسوباً، تشكّل جزءاً من تلك الكمّيّة الهائلة، وأنّ الاستفادة منها تتجاوز ما يمكن تخيّله، في العديد من الاستخدامات البحثيّة والتجاريّة والأمنيّة.

• تحديث البيانات

تمرّ البيانات بمراحل عدّة في عمليّة معالجتها، وأهمّ عنصر فيها هو التحديث. فبعد إزالة الشوائب، مثل الاستنساخ وغيرها، وتصنيفها، بواسطة البشر أو أنظمة الذكاء الصناعيّ، تقوم الخوارزميّات بمعالجة هذه البيانات. في هذه الحالة، تكون

قد ساهمتَ عمليّاً في تعزيز النموّ الاستخباريّ، وهو ما تستفيد منه الأجهزة الأمنيّة في تحليل بيانات الاتّصالات أو تلك المخزّنة على أجهزتك الخاصّة، فتقوم بجمع هذه البيانات وتحليلها ودمجها للوصول إلى إجابات من مصادر الاستخبارات المفتوحة.

• دور الدول في الاستفادة من البيانات

تستفيد أجهزة الأمن القوميّ في كلّ الدول من هذه البيانات، سواء كانت هي التي تجمعها أو تلك التي تحصل عليها من مصادر الـ"بيغ داتا"، وتستخدمها للسيطرة على الأمن، ولمعرفة تفاصيل أيّ حدث يقع على أراضيها.

في مجال الأمن السيبرانيّ أو المعلوماتيّ، ثمّة عمليّة تُعرف بـ"تحليل سلوك المدنيّين والعسكريّين"، هدفها معرفة آرائك في مواضيع معيّنة، ومكان شرائك لأغراضك، وسلوكك الاستهلاكيّ، والأدوية التي تتناولها، والأمراض التي تعانيها. هذا إذا كنت مدنيّاً، فكيف إذا كنت عسكريّاً؟

كما ثمّة ما يُعرف بمفهوم "الصورة العمليّة المشتركة"، وهذا يعني أنّه في أيّ حدث أمنيّ أو عسكريّ، يُصبح كلّ جهاز موجود في منطقة الحدث عرضة للمراقبة والاختراق وسحب البيانات منه للتطابق المعلوماتيّ؛ إذ تُجمع هذه البيانات وتُحلّل للوصول إلى استخلاصات ومعارف مفيدة.

• للعدوّ طرائق كثيرة

يلجأ العدوّ إلى استخدام كلّ السبل التي تمكّنه من بسط قوّته في "حرب الإنترنت" التي يشنّها، مثل: سحب البيانات، واستخدام الأقمار الصناعيّة، والتنصّت، والاستشعار، والأشعّة تحت الحمراء، والأشعّة فوق البنفسجيّة، وتقنيات الـ HDF وغيرها، السلكيّة منها أو اللاسلكيّة، ليتمكّن من جمع كلّ معلومة وصورة وفيديو من قلب الحدث، بالتالي، اتّخاذ المواقف المطلوبة ومعرفة كيفيّة بناء خططه العسكريّة.

كما أنّه يستخدم طرائق اللجان الإلكترونيّة لبثّ معلومات تهدف إلى الاستطلاع بالمعلومة. على سبيل المثال: إذا تداولنا رسالة نصّيّة مفادها: "غارة استهدفت الشخصيّة الفلانيّة..."، وقمنا بإعادة إرسالها وتفاعلنا معها، فسوف يستخلص العدوّ من ذلك كمّاً هائلاً من البيانات والمعلومات.

• لا تساعد العدوّ

نتيجة كلّ ذلك، تقع على المستخدمين مسؤوليّة كبيرة تتطلّب منهم التحلّي بأعلى درجات الوعي في مواجهة هذا النوع من الحروب؛ لأنّ العدوّ سيبقى أعمى ما لم يتمّ تحديثه بالمعلومة في لحظتها، إذ إنّه بحاجة دائماً إلى كلّ واحد منّا لمدّه بالبيانات ليحدّثها، ويطابقها، ويحلّلها بشكلٍ عاجلٍ وسريع.

هنا عرجت روح الحبيب

تقرير: نقاء شيت

وصار لنا في الضاحية مزار، عبقٌ من طهر المقام، وريحٌ من أريج الجنّة، ترابٌ ينبت أقحواناً أحمراً قانٍ؛ فلونه اليوم مأخوذ من دمٍ طاهر وهو دم الأمين المؤتمن، سماحة العشق، واليوم بات سيّد شهداء الأمّة

عدنا للضاحية وفي القلب انكسارة حزن وغصّة وألم، وكان المقصد مكان الارتقاء الشريف. اليوم نعرف أين أنت، يا سرّاً من أسرار الله. عشت بيننا ومعنا لسنوات، وما عرفنا لك مكاناً. اليوم فقط عرفنا وأيقنّا أين كنت وأين ارتحلت. قصدنا مكان الاستشهاد، وكلّ شيء هناك يحدّثنا عنك، عن عزّتك، عن صلابتك، عن كلماتك الأخيرة، ونظراتك، عن توجيهاتك وكلّ أوامرك، حبّك للناس وخوفك عليهم وإشفاقك على حالهم.

• أصبحنا أيتامك

رغم كلّ مكانة الضاحية، إلّا أنّ هذا المكان في حارة حريك صار الأحبّ إلينا ومكان اجتماع قلوبنا، ففيه عبق ريحك، وصدى صوتك، وروحك تطوف هناك، تحتضن كلّ الحاضرين، فجميعنا اليوم يتاماك بفقدك يا أبانا، وكلّنا ننتظر منك أن تمسح على رؤوسنا وتضمّد جراح اليتم بعدك، لتخبرنا أنّك هنا، معنا، ما برحت الضاحية يوماً ولن تبرحها، نكمل لمسيرة بدأتها منذ أعوام، وصولاً للقدس والصلاة بنا هناك.

المكان في حارة حريك صار الأحبّ إلينا حيث اجتماع قلوبنا، ففيه عبق ريحك، وصدى صوتك

وصلنا مكان الاستشهاد، واكتظاظ الناس لم يفاجئنا، فهذا هو المتوقّع من أبناء نصر الله، أن لا يتركوا أباهم حتّى بعد شهادته، فهو الذي آثر نفسه وروحه دفاعاً عنهم وعن أرواحهم وأنفسهم. عادوا إليه يفترشون تراباً ارتوى دماً طاهراً من جسده المبارك، وهواء تعطّر بشذى ريحه الطيّب، وأنفاساً اختلطت بأنفاسه الأخيرة، ملبّين حضوره كما في كلّ مرة، مردّدين كلماته، رافعين صوره، منتظرين أن يطلّ عليهم من بين الركام بخطاب النصر والتبريك، أن "يا أشرف الناس وأكرم الناس وأطهر الناس، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

• ضجيج المكان

لقد كان السيّد الشهيد في قلب الضاحية الجنوبيّة، في حارة حريك، يعقد اجتماعاً لقادة في المقاومة الإسلاميّة في إحدى المجمعات هناك، فاستُهدف المكان بغارات شنّتها مقاتلات إسرائيليّة من طراز "إف -35"، كما ألقى العدوّ نحو 85 قنبلة خارقة للتحصينات تزن كلّ واحدة منها طنّاً من المتفجّرات عبر طائرات من السرب 69. وهذا يوضّح عمق الحفرة هناك، التي تتراوح بين 50 إلى 70 متراً تحت الأرض.

هذا العمق الذي حفر في الأرض ليصل إلى سماحة المؤتمن، لم يتّسع لأعداد الوافدين لزيارة المكان، والتبرّك به، مشعلين شموع الحبّ والنذور، وكلّ أصوات نذورهم تصدح، أن "يا ربّ أعد لنا نصر الله، ونذراً لك الروح قرباناً في ساحات العشق والشهادة والجهاد، لا نكلّ ولا نملّ حتّى ظهور قائمنا المنتظر عجل الله فرجه".

«إذا السيّد راح، وقفت علينا؟! فـدا السـيّد»

المكان هناك ممتلئ باللون الأحمر، وكأنّ دماءه طهّرت كلّ المكان وأنارت دروب الوافدين إليه، صوره تعلو كلّ الأبنية، فاليوم نحن نعرفه هنا بيننا ومعنا، وهو باقٍ في قلوبنا، فأينما مال نظرك هناك فثمّة نصر الله، وصوته يملأ المكان، يشعل فينا وفي الحاضرين عزيمة للبقاء والاستمرار، وانبلاج نصر مشعّ بنور وجهه المشرق في كلّ الساحات.

ومع الانتظار، تسمع كلام المحيطين بك، كلّهم عائد بلوعته، فمنهم من فقد الأب ومنهم الأخ، ومنهم الزوج والولد، وكثيرون فقدوا عائلة بأكملها، غير أولئك الذين قدّموا منازلهم وبيوتهم في هذه الحرب، والكلمة والتمنّي واحد، خذوا أرواحنا، وأعيدوا روحه بيننا، وليقف ها هنا يخطب فينا، ولتسمحوا لنا لمرّة واحدة بعد بالنظر إليه، إلى نظرته، إلى ضحكته، وصدى صوته، فلا صوت يعلو فوق صوته وصداه.

• قبلة المحبّين

التفتّ حولي فوجدت مجموعة شبّان صوّبوا وجوههم ناحية القِبلة، افترشوا التراب محراب صلاة، وجمعوا الحجارة سجدات طهر. فاليوم، حسب قولهم، صار لهم في الضاحية مقام، قبر ومزار، لوليّ طاهر من سلالة الأطهار.

وفي ناحيةٍ أخرى، أطفال حملوا صور السيّد، وهتافاتهم ما سكتت "لبّيك يا نصر الله"، هم فرسان الشهادة في المستقبل، أشبالٌ وكشفيّون في كشّافة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، يقول عليّ، برعم كشفيٌّ واعد: "استشهد أبي في المواجهات وقلت: فداء لنصر الله، لكنّني اليوم أقف مكان استشهاد والد الأمّة. نحن فعلاً أيتام فقدنا أبانا الأوّل والأخير، فمن يضمّد جراح الفقد على طول السنين؟ لذلك نحن نعاهده أنّنا أبناؤك الذين سيسرون على درب المقاومة والجهاد".

• **"فدا السيّد"**

اليوم، وبعد مرور أكثر من ستّين يوماً على الاستهداف، تقصد المكان، ترى أغلب الوفود يضعون كمامات، فكمّيّة البارود ورائحة المتفجّرات والقذائف السامّة هناك ما زالت حتّى اللحظة، وكأنّ العدوّ صبّ كلّ حقده في تلك الحفرة ذاك اليوم.

وما زالت هذه العبارة، "فدا السيّد"، ورغم ارتحاله تلازم كلّ لسان شريف، فكلّ من فقد شيئاً في الحرب يقولها بملء فمه: "فدا السيّد، بس يرجع". لكن الآن زاد عليها نداء "فدا روح السيّد وفدا المقاومة".

دموع الحزن والفقد اختلطت بمباركات النصر، الذي تغذّى بدماء السيّد الشهيد وكلّ الشهداء الذين قضوا في هذه المسيرة المباركة، ولكنّ عزيمة المقاومين وأهلهم وبيئتهم ما انهزّت ولا هانت رغم عظيم التضحيات، بل كانوا مصداقاً لما قاله فينا روح الله والسيّد عبّاس الموسوي وكرّره سماحة السيّد نصر الله: "اقتلونا، فإنّ شعبنا سيعي أكثر فأكثر". فنحن شعب كلّما فقد قائداً، زاد إصراراً على المقاومة والأخذ بالثأر والجهاد في سبيل الله لتقديم المزيد من التضحيات، فلا هوان لأمّة كان فيها نصر الله.

هذا المشهد المهيب والعظيم، استمرّ لأيّام في مكان ارتقاء سماحة المؤتمن، والجموع حتّى اليوم لم ترَ الجثمان الطاهر بعد ولم تلامس حقيقة الأمر، ولم يُحفر له قبر أو يُنصب له مزار حتّى، فكيف ستكون الجموع يوم تشييعه المبارك؟!

إنّ مع الصّبر نصراً

تحقيق: نانسي عمر

لم يكن غريباً على بيئة المقاومة مشاهد الصمود والصبر والتضحية التي شاهدها العالم على شاشات التلفزة ووسائل التواصل منذ انطلاقة جبهة إسناد غزّة، مروراً بالحرب التي شنّها العدوّ الصهيونيّ على لبنان خلال فترة العدوان. ورغم اضطرار الناس للنزوح عن جنوبهم وبقاعهم وضاحيتهم، التي خسر فيها كثير منهم بيوتهم وأرزاقهم وأحبّتهم وقادتهم، على رأسهم سيّد المقاومة وقائدها الأسمى (رضوان الله تعالى عليه)، الذي كان يمدّهم بعبارات الصبر ويشدّ عزمهم، إلّا أنّهم برهنوا للصديق والعدوّ أنّهم أبناؤه الأوفياء الذين يستحيل أن يبتعدوا عن وصاياه ونهجه قيد أنملة، أو يتخلّوا عن المقاومة التي أسّسها ورعاها، وقد بات شعارهم مع كلّ فقد أو تضحية «فدا روح السيّد».

• كعودة الروح إلى الجسد

كتبت زينب -وهي نازحة من الجنوب- على صفحتها على فيسبوك: "صلاة فجر هذا اليوم قربة إلى الله، قبلتها الجنوب الذي سجد وحمد ولم يركع". عن ذلك تقول: "أوّل ما خطر في بالي كان غزّة وجرحها وكلّ الشعب الفلسطينيّ الذي تمنّيت أن تكون له العقبى في إيقاف هذا النزف الوحشيّ". وتتابع: "عندما عدنا إلى الجنوب، شعرت وكأنّ روحي عادت إلى ملاذها، كمن حبس نفساً طويلاً وأبى التنهّد به إلّا في سماء الدار. أمّا عندما دخلت إلى منزلي، فكانت كتبي أوّل ما تفقّدت، فهي ثروتي الشخصيّة التي لم أستطع حملها معي عندما خرجنا، وكذلك شجرة الرمّان الموجودة في منزلنا والتي تعني لي كثيراً، وقد لفتني أنّ أكوازها كانت صامدة ومتعلّقة بالأغصان رغم يباسها، وكأنّها بصمودها توجّه رسالة للعدوّ الذي لم يرحم حجراً ولا شجراً".

وتعتبر زينب أنّه رغم سلبيات الحرب، إلّا أنّها "حفرت في أنفسنا أهميّة التعلّق بأرضنا ومبادئنا وقناعاتنا، وعلّمتنا الصبر والتوكّل على الله واليقين بالدعاء، وأكّدت لنا أنّ الحقّ لا يساوَم عليه". كما أنّها تعبّر عن فرحتها بالنصر الذي تحقّق بفعل صمود الناس وثبات المقاومين، الذي منع العدوّ من احتلال أرضنا رغم كلّ الضربات التي تلقّتها المقاومة قبل بداية الحرب.

> يقول حسين: «ما كان يصبّرني خلال الحرب، هو كلمات سماحة السيّد الشهيد (رضوان الله عليه)»

• الصبرُ على فقد السيّد

يعبّر حسين بدموعه عن فرحته بالنصر والعودة إلى منزله في الضاحية، وقد تأثّر بمشهد عودة النازحين رافعين أعلام المقاومة وإشارات النصر، والبسمة ترافق وجوههم المثقلة من معاناة الحرب والنزوح. يقول: "كشفت لنا الحرب أهميّة تكافل أفراد الشعب وتعاونهم ووقوفهم جنباً إلى جنب خلال الأزمات التي تعصف ببلدهم، فقد شعرنا أنّ من آوانا هم أهلنا وأصحابنا، إذ قدّموا لنا كلّ ما يستطيعون بكلّ حبّ". ويتابع: "ما كان يصبّرني خلال الحرب، هو كلمات سماحة السيّد الشهيد (رضوان الله عليه) وخطاباته حول الصبر والتحمّل والتوكّل على الله في كلّ حين. وقد كان السيّد الشهيد أوّل من تذكّرت عند عودتي إلى منزلي منتصراً، كما وعدنا سماحته".

• في بيتنا شهيد

لعوائل الشهداء الحصّة الأكبر في تذوّق طعم النصر مجبولاً بالشوق إلى الشهيد الذي قدّم نفسه فداء للوطن، فكانت عودة عائلته إلى البيت مسكّناً للوعة الشوق، حيث يدور الأبناء في زوايا المنزل باحثين عن الذكريات. تقول فاطمة (زوجة شهيد): "كثيراً ما تمنّيت العودة إلى المنزل لأستعيد ذكرياتنا وأيّامنا بتفاصيلها، فكلّ ما في المنزل يذكّرنا فيه، وعندما عدت شعرت بالفخر لأنّ دماءه ودماء الشهداء هي التي أعادتنا إلى بيوتنا". وتضيف: "كان يتبادر دوماً إلى ذهني الحديث الشريف: (نعمتان مجهولتان: الصحّة والأمان)، فقد علّمتني الحرب أنّ الحياة أبسط بكثير من التعقيدات التي كنّا نلزم أنفسنا فيها، وأنّ الأنس بالعائلة لا يعادله شيء في هذه الدنيا. كما علّمتني قيمة مساعدة الآخرين، وعرّفتني قيمة وطني لبنان، وأنّ البقاء للأقوى، لذا، يجب أن نكون الأقوى".

• حتّى لو استشهدنا جميعاً

أمّا زهراء (ابنة شهيد) فترى "أنّنا انتصرنا بمجرّد أن طلب العدوّ التفاوض لوقف إطلاق النار، فهو رغم تفوّقه العسكريّ والتكنولوجيّ وجملة الاغتيالات التي قام بها والضربات القاتلة التي وجّهها للمقاومة، إلّا أنّه لم يصمد أكثر من شهرين، وسارع نحو التفاوض. تقول زهراء: "في لحظة الإعلان عن وقف إطلاق النار، شعرت وكأنّ والدي استشهد من جديد،

وتجدّد الحزن عندي، فكان شعور الفرح بالنصر مزيجاً بين الشعور بالفخر والعزّة من جهة، والحزن على فقد والدي من جهة أخرى". وتتابع: "عودتنا إلى الديار كانت بفضل دماء الشهداء وتضحيات المجاهدين الذين كنّا ننتظر أخبار بطولاتهم لتهون علينا معاناتنا وآلامنا وتبرد نار قلوبنا. وكنت دائماً أتمنّى لو أنّ كلّ بيوتنا وأرزاقنا تفنى ويبقى السيّد والشهداء لأنّنا نقوى بهم".

وعن تجربة الحرب، ترى زهراء أنّها كانت قاسية، "لكن ما كان يواسينا هو أنّ إمامنا الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه استشهدوا جميعاً في كربلاء، وكلّ مصائبنا تهون أمام مصائبهم. لقد استشهد أبي وعمّي وخالي وأولاده، ومع ذلك، سنظلّ نسير على نهجهم، فشعارنا كان: إمّا النصر أو الشهادة، وكما قال سيّدنا الشهيد: هذا الطريق سنكمله حتّى لو استشهدنا جميعا".

> تقول زهراء: «لقد انتصرنا بمجرّد أن طلب العدوّ التفاوض لوقف إطلاق النار»

• الدعاء سلاح الأنبياء

"كلّ التضحيات التي حصلت منذ أكثر من سنة حتّى اليوم الأخير من الحرب، استحضرتها لحظة عودتي إلى منزلي. ورغم أنّه تضرّر، إلّا أنّني كنت سعيدة وفخورة لأنّني قدّمت شيئاً في هذه الحرب، وإن كان بسيطاً أمام التضحية بالنفس والدم، فشعرت أنّني صرت شريكة في هذا النصر"، تقول سحر. وتضيف: "طيلة فترة الحرب، كنت أشعر بالاطمئنان لأنّي على يقين بأنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه هو قائد المعركة ومن كان يديرها، ومسيرة هو قائدها يستحيل أن تنتهي. ومهما اشتدّت الأزمة، كنّا وسنبقى على ثقة تامّة بقرارات المقاومة وثبات المقاومين، الذين علّمتني الحرب أن أساندهم بالدعاء كأقلّ واجب تجاههم، وهو ما علّمنا إيّاه أنبياؤنا وأئمّتنا عليهم السلام كسلاح فعّال ووسيلة للنصر إلى جانب الجهاد والصبر".

هذه النماذج ليست إلّا جزءاً بسيطاً من بيئة المقاومة التي كانت وستبقى أسوة في الصبر والصمود كما في الجهاد والتضحية في كلّ الميادين، فأمّة كان معلّمها الشهيد الأسمى سماحة السيّد حسن نصر الله حتماً ستنتصر بدمائه، كما كانت تنتصر بكلماته وإرشاداته ودعائه.

اسم الأمّ: نخلة ملحم.

محلّ الولادة وتاريخها: الهرمل 1/5/ 1975م.

الوضع العائليّ: متأهّل وله ستّة أولاد.

محلّ الاستشهاد وتاريخه: سوريا 2024/3/27م.

الشهيد على طريق القدس

علي إبراهيم ناصر الدين "ملاك"

نسرين إدريس قازان

بين الدخان الأسود وأصوات الرصاص وضجيج الناس، وقفَ مسلّح من ميليشيا القوّات اللبنانيّة أمام والده يطلب إليه أن يعطيه لأمّه، طفل في الشهر الثامن من عمره، أخذته أمّه وركضت فيه قبل أن يقتلوهم جميعاً. ومن طرف عينها رأت ظهر زوجها المقتاد إلى التحقيق، بل إلى جهة مجهولة حتّى الآن.

من تلّ الزعتر إلى الهرمل، كان الخوف يرسم طريقها، اجتازت الحواجز والمسلّحين، فيما طفلها الوحيد يبكي بين ذراعيها، حتّى وصلت وهي على آخر رمق، لتبدأ حياة جديدة كُتبت بحبر الصبر.

• متعدّد المهن

في بيت عمّه في الهرمل قضى عليّ طفولته الأولى، فتىً ذكيّاً جدّاً، يخترع أيّ شيء يخطر له، وكلّما تعطّلت لعبة، صنع منها لعبة أخرى، وكم حلم بأن يصبح مهندساً ميكانيكيّاً للطائرات، ذلك لم يكن صعباً عليه، ولكنّ الأيّام كان لها مخطّط آخر له.

عندما بلغ سنّ الخامسة، جاءت به أمّه إلى بعلبك، وأدخلته مدرسة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الداخليّة، وتوجّهت إلى بيروت لتسكن في بيت أهلها، ولتعمل من أجل إعالة وحيدها، وفي آخر الأسبوع، يكون اللقاء العابق بالشوق.

كان الصيف يملأ قلبه حبّاً واستقراراً في بيروت، وقد اختارت له أمّه في كلّ عطلة مهنة، فتعطي صاحب العمل خفية عن ابنها مالاً ليعطيه إيّاه، مقابل أن يهتمّ به ويعلّمه، والغريب أنّه خلال شهر كان يتقن العمل ببراعة بشكلٍ يذهل أربابه، فتعلّم الحدادة، والنجارة، و"لفّ الترانسات"، وإصلاح السيّارات.

بعد أن بلغ الخامسة عشرة من عمره، استقرّ عليّ في بيروت مع أمّه، وأخبرها أنّه يريد العمل، فقد أرهق قلبه تعبها المستمرّ من أجله، فتعلّم مهنة الحلاقة للرجال، ثمّ أخضعته نقابة الحلّاقين لامتحان، وقد نجح فيه وحصل على مقصّ كهديّة، فأخذه وقال لأعضاء النقابة إنّه سيهديه لمن علّمه المهنة، فتعلّم منه الحاضرون الوفاء.

• المجاهد المربّي

تزوّج عليّ ورُزق بستّة أولادٍ، إذ كان محبّاً للعائلة وتوّاقاً لبناء ما حرمته الأيّام منه، أسرة كبيرة تملأ أركان البيت بالضجيج الباعث على الفرح والفخر.

في عام 2006م، اندلعت حرب تمّوز، وكان عليّ قد استقرّ في منزله، فبقي هناك مع المجاهدين، وكانت تلك الحرب انطلاقته الرسميّة مع حزب الله، بعد أن أمضى سنوات في التعبئة العامّة. وما أن وضعت الحرب أوزارها، حتّى التحق بالدورات العسكريّة التخصصيّة، وبدأت غيباته تطول عن المنزل، فاضطرّ لإقفال محلّه الخاصّ، والتفرّغ كليّاً لعمل المقاومة؛ فتولّى بدايةً العمل الاجتماعيّ حيث يقطن، وكم كان هذا العمل لائقاً به، فبذل

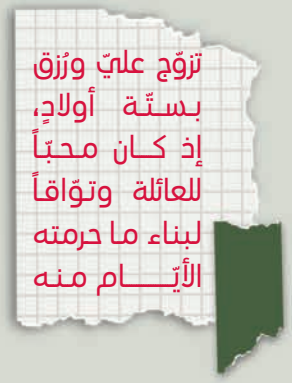

جهداً لإخراج الشباب من الشارع وحفظهم من أيّ سوء، من خلال استقطابهم إلى الحزب، وعمل على ترسيخ القيم الأخلاقيّة والدينيّة في نفوسهم، زارعاً فيهم الحياء والحشمة. وقد ربّى جيلاً تعبويّاً قاعدته الأساسيّة في الحياة هي الحلال والحرام، فتتلمذ على يديه القويّتين جيل من المجاهدين، واستشهد الكثير منهم في حرب الدفاع عن المقدّسات.

• رسالة إلى الأمين

عندما اندلعت الحرب في سوريا، التحق فيها الشهيد سرّاً، إذ إنّه لم يخبر أحداً بذلك. ولمّا كان يتحضّر لمرافقة غيره من المجاهدين الذاهبين إلى سوريا، التقى بأحد أصدقائه، فرمقه الشهيد بنظرة تطلب منه أن لا يتفوّه بأيّ كلمة، وإذ بالمسؤول هناك يقول بصوتٍ عالٍ: "فليقف جانباً من هو وحيد والديه"!

لم تفلح محاولاته، إذ سرعان ما مُنع من الذهاب إلى سوريا، فما كان من أمّه إلّا أن كتبت رسالة لسماحة السيّد الشهيد حسن نصر الله (رضوان الله تعالى عليه) تستأذنه أن يسمح لابنها بالمشاركة في الحرب، فأُعطي استثناءً خاصّاً، لأنّه وحيد بلا إخوة وأخوات فضلاً عن أنّه يتيمُ الأب.

• "ملاك الهضبة"

منذ بداية تلك الحرب، أصبح تواجده أغلب الوقت في سوريا، وقد شارك في الكثير من المعارك هناك، من حمص ونبّل والزهراء والزبداني إلى تدمر، فحلب والبوكمال، حتّى نهر الفرات، إذ قاتل تحت قيادة أشجع القادة، وعُرف بشجاعته وبأسه وإقدامه. كان قنّاصاً بارعاً، فلم يستطع

منذ بداية تلك الحرب، أصبح تواجده أغلب الوقت في سوريا

أحد الفرار من رصاصه الصائب العارف لوجهته، وقد حصل بين رفاقه على الكثير من الألقاب أبرزها "ملاك الهضبة". وكان كلّما تقدّم أمام مجموعته، خاطبهم بكلامٍ يزيدهم عزماً ويقيناً، فيندفعون بروحيّة عالية إلى الصفوف الأماميّة، فمنهم من قضى نحبه، وظلّ هو منتظراً مستبشراً بمن سبقه.

كلّ ذلك إلى جانب تولّيه مسؤوليّة منطقة الأجنحة الخمسة، فكان يتابع شؤون الشباب هناك على جميع الأصعدة، ويؤكّد على تغذية الجانب الروحيّ والمعنويّ فيهم لأنّه أساس القوّة في الميدان. وإذا ما سألنا الفتية والشباب في محيط عمله عنه، سيخبروننا بأنّه كان بمثابة والدهم، كيف لا وفي كلّ مرة كان يخبرهم بأنّهم أبناؤه، الذين عوّضه الله بهم في الدنيا بعد فقدان ولده إبراهيم، الذي توفّي إثر حادث أليم في عام 2022م.

• بيت الأحلام

بعد الكثير من الغياب والفراق، أراد الشهيد بناء بيت أحلامه في قرية زبود. كان مهندساً بالفطرة، وقد لامست يداه كلّ ركن من أرجائه، حتّى بنت بيت الأحلام والراحة لأبنائه وزوجته وأمّه، التي لطالما أراد أن يعوّضها عن تلك الأيّام القاسية المليئة بالبُعد والتعب.

عاش أبو إبراهيم كما أوصى أمير المؤمنين عليه السلام؛ عمل للدنيا كما لو أنّه سيعيش أبداً، وجهّز لآخرته كما لو أنّه في كلّ يوم يرتقب المنيّة. كان الأمر أشبه بالحلم، يدرك الجميع أنّ رجلاً مثله لا تليق فيه ميتة الفراش، وهو الذي تعب منه النزال، فكانت ليلة مظلمة عنيفة، شنّت فيها طائرات "الشيطان الأكبر" غارة على سوريا فارتقى شهيداً، صائماً عابداً، مواسياً لخير خلقه، فذهب إلى جوار ربّه روحاً ثابتة على ما أمرها الله به. وبقي جسده ها هنا في الصالحيّة بعد غارة غادرة طالت أبدانهم ورفاقه بالأسماء، جعلت من جسده محطّة للجراح والمواساة على نهر الفرات.

وللشهيد بعض الكلمات الصادقة هديّة من أفراد عائلته: "نغبطك على شهادتك، وهنيئاً لك لقاءك بحبيبك ومن تولّاهم الله في كنفه ورحمته، ونشكرك على حُسن صنيعك في دار الدنيا والبلاء، راجين من الله أن نختم حياتنا بما ختمت به حياتك وأن نلقاك بحضور صاحب الأمر والعزاء، وتحت رايةٍ لطالما قدّمت لها التحيّة وعهود الثبات والوفاء".

إصابتان...
في اليوم نفسه (2)
لقاء مع المجاهد الجريح لواء

حنان الموسويّ

كنت أنتظر اللحظة التي ستغادر فيها روحي هذا الجسد الذابل حتّى أنضمّ إلى قافلة الشهداء، ولكنّ مسعفاً أبى إلّا أن يحاول المحاولة الأخيرة، بعد أن اتّجه بي إلى بعلبك على وجه السرعة.

- **صبرٌ واحتساب**

كان أخي برفقة خالي في مستشفى دار الحكمة يساعدان في نقل الجرحى. وعند وصول الإسعاف التي تقلّني، اقترب أخي من السيّارة وأسرع بحملي، فعرفني رغم تغيّر ملامحي وتورّم وجهي. أمّا أمّي، فعند وصولها إلى المستشفى، نزعت عنّي بزّتي العسكريّة المشبعة بالدماء. وبعد أن صارحها الطبيب أنّي خسرت إحدى عينيّ، حاولت إيقاظي فاستجبت لصوتها وفتحت عينيَّ، فانبرت تدعو لي، وسجدت لله شكراً. خضعت لجراحةٍ دامت ستّ ساعات إذ استأصلوا ما تبقّى من العين ورمّموا الجرح.

- **وجهٌ جديد**

استيقظت في اليوم التالي ظهراً. طلبت من أهلي أن يحضروا لي مرآةً رغم علمي بفقدان عيني. رأيت وجهي الجديد بكامل تورّمه، فحمدت الله على ما أكرمني به، وتقبّلت إصابتي. ولأنّ الطلقة كانت مسمومة، عانيت من التهاباتٍ حادّةٍ ما استدعى نقلي إلى مستشفى بهمن في بيروت حيث بقيت شهرين. كما خضعت لأربع جراحاتٍ لترميم عظم الوجه والحنك. أثناء عودتنا إلى القرية، قدتُ السيّارة وصولاً إلى المنزل برفقتي أهلي وخطيبتي، وهذا ما أشعرني بعودتي إلى الحياة الطبيعيّة، وأنّ شيئاً لم يختلف.

- **صديقٌ شهيد**

مكثت شهرين في المنزل فضاق صدري. قرّرت العودة إلى العمل الجهاديّ، وقد ساعدني في ذلك رفيق والدي. استثناءً، تقبّل المعنيّون عودتي إلى العمل، وتحديداً في سوريا، حيث تنقّلت بين مدن حلب وبيرود والقلمون بصفتي مسانداً للهجوم. وخلال هذه الفترة، ارتقى العديد من أصدقائي بين شهيدٍ وجريح. تزوّجت عام 2015م، ورزقني الله بطفلين: صبيٌّ وفتاة، تعلّقي بهما لم يثنني عن التوجّه إلى الجبهة مجدّداً، خاصّةً بعد استشهاد صديقي المقرّب ياسر شمص في الهجوم الأوّل على الدواعش في السلسلة الشرقيّة عام 2017م. تأثّرت كثيراً عندما طلب والده منّي أن ألحده في قبره، هذا ما أضرم في داخلي نار الإصرار على متابعة المعركة.

- **إصابةٌ جديدة**

تسلّمت مهمّة خاصّة في 2017/5/16م، وبقيت أيّاماً عدّة في السلسلة الشرقيّة. لدى وصولنا إلى معبر ميرا، سمعنا إطلاق نار، فجاء الأمر بالانسحاب الفوريّ. سارت بنا الآليّة رويداً رويداً لعلّ الله يُحدث بعد ذلك أمراً، وإذ بها تدوس فجأةً على عبوة كان المسلّحون قد زرعوها سابقاً، فانفجرت وطارت بنا وانقلبت. أُصبت في قدمي وبرز عظمها، عندها، قفزتُ من السيّارة، رفعتُ قدمي المصابة بيدي، واحتميت لأنّ المسلّحين اكتشفوا مكاننا إثر الانفجار، واستهدفونا بوابلٍ من النيران، كما أنّ السائق والمرافق أصيبا أيضاً في أقدامهما. كانت قدمي شبه مبتورة وقد تعلّقت بكامل عزمها بما تبقّى من الجلد. حملت هاتفي واتّصلت بالإخوة لأخبرهم بما حصل.

الاسم الجهاديّ: لواء.

تاريخ الولادة: 1990/8/5م.

تاريخ الإصابة الأولى ومكانها: القصير 2013/5/21م.

نوع الإصابة الأولى: استئصال العين اليسرى.

تاريخ الإصابة الثانية ومكانها: جرود عرسال 2017/5/20م.

نوع الإصابة الثانية: تلف القدم اليسرى.

• ألمٌ حادٌّ

كان ألم الإصابة حاداً، لأنّ موجة الشظايا تناثرت في جسدي، وضغط الانفجار تسبّب بخروج عيني الزجاجيّة، فسال الدم على وجهي. طلبت من المسعف أن يعطيني مسكّناً، وسط دهشته ممّا رأى، صدمتُه منَعَتهُ من إخباري بأن عيني قد فقئت، فتبسّمت له وأخبرته بأنّها إصابة قديمة. نُقلنا إلى مستشفى قارة، بقينا يوماً واحداً حيث عاقرت الكثير من المسكّنات، وكنت طوال الطريق أمازح الإخوة في الإسعاف، كما دأبت على تسلية رفاقي قبل انفجار العبوة. وصلنا إلى مستشفى البتول ومنها إلى مستشفى دار الحكمة حيث خضعت لجراحة تثبيتٍ للكاحل والأصابع عبر الصفائح والبراغي استمرّت أربع ساعات. بعد شهرين، خضعت في بيروت لعمليّة ترميم الأوتار، وما زالت قدمي معطوبة حتّى الآن. اتّصلت بصديقي طبيب العظم وطلبت منه الحضور إلى المستشفى ليجري لي الجراحة فور وصولي

أخي كان يتوقّع إصابتي بسبب غيابي عن المنزل، وقد وصله الخبر سريعاً. فأبلغ الأهل، ثمّ اصطحب زوجتي ليلقياني في المستشفى.

• استثمار الألم

بقيت حبيس المنزل خمسة أشهر حتّى ضاق صدري، وخلالها خضعت لعلاجٍ فيزيائيّ مكثّف، فقرّرت متابعة دراستي، وحصلت على شهادة TS في اختصاص هندسة الإلكترونيات وLT في اختصاص إدارة الأعمال. وبعد إلحاح كبير، وافق المعنيّون على رجوعي إلى العملبقدر استطاعتي. أتابع حاليّاً الملف الرياضيّ في مؤسّسة الجرحى، مثل كرة القدم والسباحة، و"البينج بونج" وكرة السلّة، وأنشأت فرقاً خاصّة بهذه الرياضات، وقد حصّلنا مجموعة كؤوس وميداليّات. ذاع صيتي حتّى وصل إلى وزارة الرياضة، فذهبت مع وفدٍ لبنانيٍّ ضمن بعثةٍ رياضيّةٍ إلى أفريقيا برفقة

فريق المؤسّسة، وقد حصلنا على الميداليّة الذهبيّة الوحيدة لفرق ذوي الإعاقات.

كما أنّي خضعت لدورات تأهيليّة مع المؤسّسة في اختصاصات عدّة، وأخرى في الرماية واللغة الفارسيّة، ودورة مع الجيش اللبنانيّ للتوعية من مخاطر الألغام، وأضحيت مدرّباً للتوعية من مخاطرها، وشاركت مع الاتّحاد اللبنانيّ في ألعاب عدّة.

كان ألم الإصابة حاداً، لأنّ موجة الشظايا تناثرت في جسدي

• جهاد على جبهات عدّة

أثناء جولتي على المعسكرات، ألتقي ببعض الشبّان اليافعين الذين علموا أنّي أعمل تطوّعاً، فشجعهم ذلك على الرضى والقناعة والزهد عمليّاً. كما ألتقي فئة الأكبر سنّاً الذين أخبرونيّ بأنّهم يخجلون من التذمّر أثناء تأدية أيّ عملٍ جهاديٍّ مهما كان شاقّاً عندما يجدون جريحاً مثليّ مثابراً ومقداماً في عمله رغم وضعه، وأنّ هذا يمدّهم بالعزيمة أكثر.

على الصعيد الاجتماعيّ، استفدت من محاضرات السيّد كميل باقر زادة حول جهاد التبيين حتّى رحت أمارسه على مستوى الفئة الاجتماعيّة المتعلّمة والمثقّفة، حيث يكمن دوري في إقناعهم في سبب تمسكّي بقرار المقاومة عبر الأدلّة والبراهين، وضرورة تلك المعركة لحماية أنفسنا. وكذلك للفئات الاجتماعيّة الأخرى، فليس الجميع يدرك أنّنا مجاهدون سلكنا هذا الطريق قناعةً وطوعاً.

• بوح الحنين

إلى سماحة الحبّ المفدّى السيّد حسن نصر الله (حفظه الله): سلامٌ إليك أيّها المؤتمن على القلوب والدماء، اِمضِ يا سيّدنا ونحن خلفك، لا نعرف في ظلّك الخنوع للمحتلّ. سنكمل الطريق قتالاً وحرباً حتّى تحقيق النصر. كلّ نزفٍ فينا يؤدّي التلبية وفروض الولاء لحضرة عينيك. نحن يا سيّدنا ببركة وجودك لن نخضع، لا نهاب الموت وجلّ همّنا إحدى الحسنيين، واللقاء بك يا بن فاطمة عليها السلام.

أمّا كلامي عن مؤسّسة الجرحى فيتيم، إذ مهما تحدّثت لا أفي العاملين فيها حقّهم وقدرهم، فهم يعاملوننا بفائض العطف والقربى، وعندما نكون بينهم، نكون مع عائلتنا.

قافلة العشق

بمناسبة تأبين سيّد شهداء الأمّة

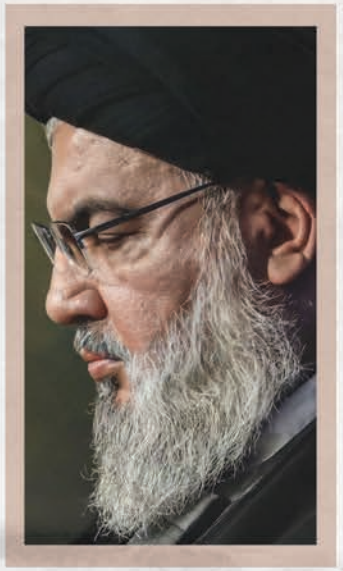

سألتُ الجرح أن يمتدّ في عمري ويحمل وجهيّ الآتي
ويكتب كلّ أتعابي بجنح فراشةٍ بيضاء
يمسح همّي المدفون في الأعماق من ذاتي
فيا وجعاً تسمَّر فوق نافذتي وأبوابي
ويا حزناً حسينيّاً يكوّر ليلي الشاتي
ويا رملاً تلاهب خطوى أصحابي
ترفَّق لستُ من حجرٍ وأخشابِ
ترفَّق يا عباب البحر
ليس هناك غير دمعي وبقيّة من شراعاتي
سأرفعها بوجه الريح
علّي أهتدي لرفاق أحبابي
ترفَّق لستُ من حجرٍ وأخشابِ
سألت الدرب أن يمتدَّ بي
فأرى أصحاب الأمس حولي مثل ما كنَّا
نُخبّئ في زوايا المسجد المهجور أحرفنا
ونكتب بالدموع رؤى التراتيل السماويّة
ونخفَى في ظلال النخل خوفَ ألفَ أُميّا
ونفرح حين تأتينا وريقات مخبّأة
ونقرأ خلف كلّ إشارةٍ معنى
ونخشع حين نسمعها بقدسيّة
وكنَّا نفتح الجرح العميق وندفن الأسى على عطشٍ
لتهطل حولنا الأمطار
وكنّا نحمل الحزن ليحمل غيرنا الفرح النديّ
ويكثر النوّار
فيا ليلاً أقام بقلبي المضنى
وعدنا فيه أغراباً
تمرّ بدرب أغرابِ
ترفَّق فاحتضار الروح منّي بعض أتعابي
ترفَّق لستُ من حجرٍ وأخشابِ
سألتُ القلب أن يُبدي الأسى في لحظة الذكرى
وأن يبكي لعلَّ الأدمع الحرَّة

تُذيب جليده المدفون في أضلاعه سرّا
لعلَّ الأدمع الحرَّة تُذيب بمقلتيه القارَ والصخرَ
لعلّ جراحه تبرى
وأخبرني بأن نتفيّأ الجمرَ
لأنّ العاصفات إذا التوَت لا ترحم الصقرَ
وأنّ مشية العشّاق ترقبُ أن تضمّ الخطوة الحيرى
وأنّ الجرح يأبى أن تضمّده بليلٍ مقلةٌ عبرى
وأخبرني بأن الطفَّ ما زالت تردُ على ثراه الأضلع الحرّة
وما زالت ملطّخة هناك الأذرع البترى
وما زال الرضيع يذوب من عطشٍ
فتمسح وجهه الحورا
وما زال الحديد يأنُّ
يُتقن مشية الأسرى
فيا نصلاً يمزّقني ويطلب من بقايا جثّتي الأجرَ
ترفَّق لستُ مجنوناً لأرقى القمّة الكبرى
ولكنّي سأفتح ذلك السترَ
وأبحر في شرايين الحروف لعلّني أقرأ
ملامحه وتلك الوجنة السمرة
وبسمته تضمّ بروعةٍ فجرا
وشيبته تفيض حنانه الأبويّ والطهرا
وجزءاً مثل طيف الشمس
يبدو لونه سحرا
على جرح الحقيقة ينثر العمرَ
ويسقيها على يبسٍ
لتحضنها أكفّ المتعبين نديّةً خضرة
ومن بعنائها أدرى
يرى الشمع المذاب بدربها دهرا
ومن أدرى
من الأوداج حين تعانق السكينةُ النحرَ
ومن أدرى
من القلب المدمَّى
إذ يغوص النصل في أضلاعه اليسرى
فيا طيفاً على أجفاننا مرَّ
سننسى ألف جرحٍ
ثمّ يبقى جرحك النازف لا يبرى

علي أبو رضا

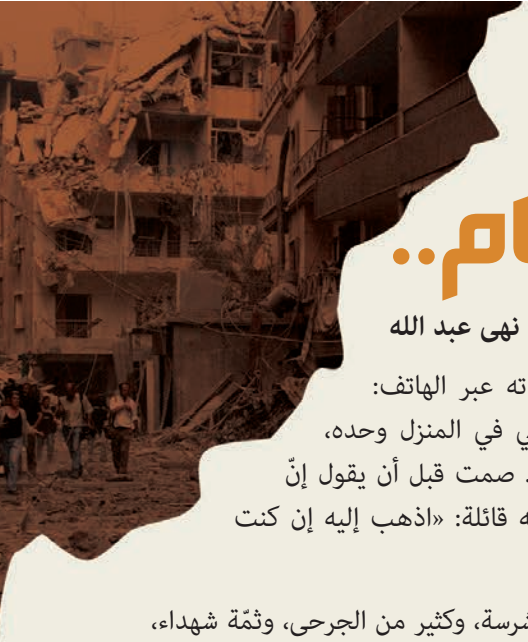

تحت الركام..

نهى عبد الله

في نهاية حديثهما، سأل والدته عبر الهاتف: «أين أصفر؟»، أجابته بحزن: «بقي في المنزل وحده، لم نتصوّر أن تمتدّ الحرب هكذا». صمت قبل أن يقول إنّ مصيره سيكون الموت، شهقت أمّه قائلة: «اذهب إليه إن كنت قريباً».

كان قلبه يعتصر ألماً، الحرب شرسة، وكثير من الجرحى، وثمّة شهداء، وبالأمس استشرس العدوّ وصبّ حقده على الضاحية، لم يترك مبنى إلّا دمره أو صدّعه، وفوق الطامّة أن «أصفر» وحده. بعد ساعة، ربّت صديقه على كتفه، قائلاً: «حصلتَ على الإذن للمرور بمنزلك». على الفور أدار محرّك دراجته الناريّة وانطلق.

لم تكن تلك الضاحية التي عرفها، كانت مدينة تنفث دخاناً أسود، تنبعث منها روائح احتراق ثقيلة، يشوبها الوجع وهواجس العوائل التي لم تعرف مصير أفرادها بعد. تحسّس طريقه، وصل إلى حيث يقطن، كان المبنى متصدّعاً بشدّة، وقبل أن يصعد، جذبه إحساسه إلى غرفة الناطور، نادى عليه دون جواب، اقترب من نافذته الصغيرة، ليرى الغرفة مدّمرةً بالكامل، يتوسّطها ركام وألواح متكسّرة وخزانة متهالكة. لاحظ صوت نقر خفيف، خشي أن يكون الناطور عالقاً تحت ذلك الرّكام. خلع الباب وشرع بإزاحة الألواح المتكسّرة والأحجار. لم يصدّق... كان أصفر متكوّراً في زاوية قفصه، رامياً جناحَيه بلا قوّة، نافداً طعامه وشرابه، موشّحاً برماد كثيف، عندما سمع صوت صاحبه، استجمع قوّته ونقر علبته ليستدعي انتباهه. وسريعاً، أخرج عبوة مياه صغيرة من جيبه، وأخذ يغسله، ويسقيه. انتفض أصفر وظهر لون جناحيه برّاقاً وهو يصفق بهما منتعشاً، وقد رُدّت إليه الروح من تحت الركام.

في كلّ حرب شرسة، قد يغدو الأمل بالنصر لبعضنا ضعيفاً، موشّحاً بالوجع والسوادّ، مدفوناً تحت الركام، لكنّ قلب مجاهد مخلص.. يستخرجه ويُعيد إليه الحياة.

صدر حديثاً

MP3 AUDIO

سلسلة الكتاب المسموع

كتاب قيّم يحمل بين أسطره أبحاثاً جُمعت للعلامة الطبابائي رحمه الله حول الإنسان في تراثه «الميزان في تفسير القرآن». أصبح الآن بين أيديكم كتاباً مسموعاً ينقلكم بالصّوت أينما كنتم إلى عالم العلامة الجليل ومعارفه وطروحاته في الإنسان بدءاً من خلق الإنسان الأوّل وحتى الموت.

تجدونه في دار المعارف الإسلامية الثقافية.

خدمة التوصيل متوفّرة على جميع الأراضي اللبنانية.

دار المعارف الإسلامية الثقافية

للحصول على أيّ من إصدارات دار المعارف الثقافيّة يمكنكم التواصل على الأرقام التالية:

+961 1 559976 | +961 3 470011 | daralmaarefisl

اوصيكم بأن يكون ايمانكم بقيادة
سماحة الامام الخامنئي دام ظله محكماً
وثابتاً من اجل خير دنياكم وآخرتكم